ظاهرة الإلحاد

في المجتمعات الإسلاميّة

أسبابها وعلاجها

بان خليل الشمري

دار روافد

ظاهرة الإلحاد

في المجتمعات الإسلامية

أسبابها وعلاجها



ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية

أسبابها وعلاجها

بان خليل الشمري



الطَّبعَة الأُولَى
١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م

ISBN 978-614-426-864-3



دار روافد
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت – لبنان
ت: 71/868980
darrawafed@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} * {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.

ل(سورة الصف، الآيتان ٨ – ٩)

الإهداء

إلى صاحب الخُلُقِ العظيم.. وأولِ نورٍ خُلِق..

إلى أصدقِ الناسِ لهجةً..

إلى الذي ما أوذيَ نبيٌّ مثلُه.. لإرساءِ قواعد الدين والإسلام..

إلى الناصحِ لأُمَتِه.. والمبعوثِ رحمةً للعالمين..

رسولُ اللهِ محمد(ص)

أُهدي جُهدي المتواضع هذا.

شكر وتقدير

لله شكري وعظيم امتناني على جزيل فضله وكثير نعمائه وعلى رأسها نعمة الإسلام وولاية أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام واعترافاً مني لذوي الفضل بفضلهم لايسعني في هذا المقام إلّا أن أتقدم بالشكر إلى كل من أعانني على هذا البحث وساهم في إظهار هذا الجهد المتواضع إما بآرائهم أو مقترحاتهم أو تشجيعهم وأخص بالشكر أستاذي السيد الدكتور نذير الحسني على ما تفضل به من إرشادات ونصائح ومساندة لتقويم وإتمام هذا البحث.
كما أشكر كل من الأهل والأصدقاء الذين ساندوني فلهم مني جزيل الشكر والعرفان وجزاهم الله عني خير الجزاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة

«الحمد لله الأول قبل الإنشاء والإحياء والآخر بعد فناء الأشياء، الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوصاف الواصفين أبتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيئته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، والحمد لله على ماعرفنا من نفسه وألهمنا من شكره وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ودلنا عليه من الإخلاص له في توحيده وجنبنا من الإلحاد والشك في أمره»[١].

والصلاة والسلام على رسوله محمد(ص) أمينه على وحيه إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة، الذي حمل رسالته، وصدع بأمره، ونصح لعباده، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين خير خلقه الذين اجتباهم واختارهم الله خلفاء من بعد رسوله ثاني الثقلين العترة الميامين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فإن عقيدة المسلمين هو التصديق والإيمان بوجود الله وعظمته وكبرياءه فالإسلام دين الله والحقيقة المطلقة التي أستودعها الله قلوب سائر الأنبياء والرسل الكرام، وكان من تمام النعمة أن يكون هو الدين الذي يتعهد الله به بني الإنسان والشريعة التي يختم بها شرائعه السابقة، قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ

---

١ - علي بن الحسين السجاد، الصحيفة السجادية، الدعاء الثاني، ص٣٢.

غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يقبل منه وهوفِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[1].

لقد كان الغرض الأصلي من الإسلام هو تخليص الإنسان من التربية الفاسدة والوسط الردئ وآثاره التي تلم بفؤاد الإنسان فتحرمه من سبحات نور المبدع والمنعم وتعميه عن رؤية الطريق الذي يقول عنه عز وجل: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً}[٢]، هذا السبيل هو سبيل الكمال والهدى والتقدم والتمدن، وعلى عكسه سبيل التردي والضلال، وهناك من البشرية من اتخذوا الشيطان عضداً لهم فأنكروا وجود الله ألا وهم الملاحدة، فالإلحاد مذهب فلسفي يقوم على فكرة أساسها إنكار وجود الله حيث يدَّعون أن الكون وجد بلا خالق وإن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في آن واحد، وأن الكون والإنسان والحيوان والنبات وجد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت، وأن كل مافي هذا الوجود نشأ عن طريق التطورات المتعاقبة، وإن الإنسان نهاية هذه التطورات الحيوانية، وإن الحياة بدأت خلية بسيطة أو مجموعة خلايا ثم بدأت بالتكاثر والتطور أي دون تدخل خارجي حتى وصلت الحياة إلى ماوصلت اليه[٣].

ولقد نشأت وانتشرت المذاهب الفكرية الإلحادية في الغرب أولاً ثم امتدت إلى مختلف شعوب العالم حتى وصلت إلى شعوب الأمة الإسلامية، حيث نجد أن

---

١ – آل عمران، آية ٨٥.

٢ – الإنسان، آية ٣.

٣ – انظر (د.غالب بن علي العواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة، ج٢، ص١٠٠٣ – ١٠٠٨).

الإلحاد قد استشرى اليوم في المجتمعات الإسلامية حتى صار له أنصار ومؤيدين ومعتقدين ومنتحلين له وباتوا يدعون له ويدافعون عنه، فالملاحدة في الغرب لم يجدوا في المسيحية مايتفق وطبيعتهم الفطرية السليمة، وذلك لأنها لاتلبي طلبات الإنسان العاقل خصوصاً في مسألة التثليث، الأمر الذي جعل الإنسان الغربي في حيرة وتخبط حيث جاءت النصرانية بأفكار لا يقبلها عقل ولا يقرها منطق وفوق ذلك طغيان الرهبان والبابوات الذين وصلوا إلى حد لا يطاق من إذلال الناس واستعبادهم مما جعلها أغلالاً يتمنى أصحابها الخروج عنها إلى أي جهة فاحتضنوهم الملاحدة، وإن هؤلاء الملحدين وإن كانوا قلة إلّا أنهم قلة مؤثرة، وإن الكثير من أبناء المسلمين يتعرضون لهذا الفكر الإلحادي سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في بلادهم أو بلاد الغرب التي يذهبون اليها كدارسين أو مقيمين، وكثيراً منهم يجدون أنفسهم عاجزين عن الرد على طرح وتشكيك الملحدين.

وبالرغم من أن العالم الإسلامي لازال يتمسك بالإسلام ويقر بالتوحيد والغيب والبعث، إلّا أن موجة الإلحاد تطغى عليه من جانب، حيث تشكك أبناءه في دينهم وعقيدتهم، رغم أن روح الإسلام طاقة لايمكن أن تخمد وستظل تصنع المعجزات.

ونحن بصدد التعرض إلى تعريف مفاهيم الإلحاد بكل جوانبه ومفاهيمه القديمة والحديثة، بالإضافة إلى تأريخيته وبداياته وأنماطه. كما أن دراسة أسباب انتشار ظاهرة الإلحاد في مجتمعاتنا الإسلامية أهمية كبيرة تفيد في معرفة نقاط الضعف الموجودة في المجتمعات الإسلامية والتي يتسلل منها الإلحاد

وتشخيص العلاج وطرق التصدي له.

حيث يجب أن تعالج ظاهرة الإلحاد المعاصرة وذلك بإقامة الإسلام العلمي الواقعي والرد على كل شبهة، فإذا استطاع المسلمون أن يملكوا لكل شبهة جواباً استطعنا بذلك أن نقضي على ظاهرة الإلحاد.

لقد سعى فلاسفة الإلحاد والغزو الفكري الغربي للمجتمعات الإسلامية دائبين إلى تأليب الناس على الإسلام والمسلمين، ولتحصين أجيالنا والأجيال التالية من خطر الإلحاد أصبح واجب علينا أن نحد من انتشاره ولا بدَّ من كشف شرور هذه الفلسفات الغربية وتوضيح نشاطاتها الماكرة وأساليبها التي استخدمت ضد الإسلام والمسلمين.

بان خليل الشمري

في ٢٠/١/ ٢٠١٦م/ ربيع الثاني١٤٣٧هـ

الفصل الأول

مباحث عامة

المبحث الأول: بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردات البحث.

المبحث الثاني: الإلحاد في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الإلحاد في أحاديث المعصومين.

المبحث الرابع: تأريخية وأنماط الإلحاد.

المبحث الأول:

بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردات البحث

إن الكلمات المستخدمة في هذا البحث هي كلمة "ظاهرة" و"الإلحاد"، وإن تحديد معنى المفردات المستعملة في البحث لغةً واصطلاحاً تعتبر ضرورة من ضرورات البحث.

١ – مفهوم الظاهرة لغوياً

إن أصل كلمة ظاهرة مأخوذة من:

«ظَهَرَ، والظَهَرُ: خلاف البطنِ من كل شيءٍ، والظُهورُ: بدو الشيء الخفي والظاهرة: كل أرض غليظة مشرفة كأنها على جَبَلَ. والظاهرة والظَّهَارَة: خلاف الباطن والبطانة من الأقبية ونحوها، وظّهرتُه تَظهيراً: جعلت له ظاهرةَّ».[١]

وجاء تعريف "ظاهرة" أيضاً:

«من ظهرَ يظهر ظهوراً فهو ظاهر وجمعها ظاهرات وظواهر، والظاهر بخلاف الباطن، والظاهرة: هي العين الجاحظة أي العين الظاهرة التي ملأت نقرة العين وهي خلاف الغائرة. وظهر الشيء أي تبَين».[٢]

وذكر المعجم الوسيط أن "ظاهرة": «الأمرالذي ينجم بين الناس».[٣]

---

١ – الخليل بن أحمد، الفراهيدي، كتاب العين، ج٣، ص٨٠.

٢ – أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٤٧١.

٣ – مجمع اللغة العربية، المركز الثقافي المصري، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، ص٥٧٨.

وقيل أيضاً:

«الظَّاهِر ضد الباطن وظَهَرَ الشيء تبين، وظهرعلى فلان غلبه، وبابهما خضع وأظْهَرَهُ الله على عدوه وأظْهَرالشيء بيَّنه».[1]

وبذلك يكون معنى الظاهرة لغوياً أي الوضوح والظهور والتبيان.

٢ – مفهوم الظاهرة اصطلاحاً

إن معنى"ظاهرة" اصطلاحا تعني:

« ما يمكن إدراكه أو الشعور به وما يعرف عن طريق الملاحظة والتجربة. والظواهر ممكن أن تكون طبيعية ونفسية واجتماعية، وظاهرة اجتماعية هي كل ظاهرة قوامها علاقة بين أفراد المجتمع، ويصحبها شعور بسلطان المجتمع، وتنشأ عن اجتماع الناس بعضهم ببعض ولا تكون وليدة مزاج أو إرادة فردية وتتصف بصفة القهر والإلزام بمعنى إنها تلزم الأفراد بطاعتها».[2]

وكذلك جاء في معجم المصطلحات معنى "ظاهرة" هي:

«هي كلّ شيء يدرك الإنسان وجوده، ويستطيع وصفه أو الحديث عنه»[3].

٣ – مفهوم الإلحاد لغوياً

إن كلمة إلحاد جاءت من اللحد:

«وهو ما حفر في عرض القبر، وقبر ملحد، ويقال ملحود، ولحدوا لحدا،

---

١ – محمد بن أبي بكر، الرازي، معجم مختار الصحاح، ص٢٣٤.

٢ – مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص١١٤.

٣ – أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص٣١٣.

والرجل يلتحد إلى الشيء، يلجأ إليه ويميل».[1]

وأيضاً:

«لَحَدَ: الام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال: ألحَدَ الرجلُ، إذا مال عن طريق الحقِّ والإيمان، وسمي اللَّحدُ لأنه مائلٌ في أحد جانبي الجَدَث، والملتَحَد: الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه».[2]

وذكر القاموس المحيط:

«إن معنى ألحَدَ: أي مالَ، وعَدَلَ، ومارَى، وجادَلَ».[3]

وجاء في لسان العرب:

«أن اللحد جمعه الحَاد ولحُود، والمِلحود كاللحد صفة غالبة، وقال ابن السكيت: المِلحِدُ العادِلُ عن الحق المدخِلُ فيه ماليس فيه، يقال قد ألحَدَ في الدين ولَحَدَ أي حادَ عنه، ومعنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد، وقال الزجاج: ومن يرد فيه بإلحادٍ: قيل الإلحاد فيه الشك في الله».[4]

وفي المعجم الوسيط جاء معنى:

«ألَحَدَ في الدين: أي طَعَنَ، وأَلَحَدَ في الحرم: أَستحَلَ حُرمتها وانتهكها، و«الملحد»: الطاعن في الدين المائل عنه، والجمع ملحدون وملاحدة».[5]

---

٤ – الخليل بن أحمد، الفراهيدي، مصدر سابق، ج٣، ص١٨٢.

١ – أحمد بن فارس، مصدر سابق، ج٥، ص٢٣٦.

٢ – مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٣١٧.

٣ – جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، ج٣، ص٣٨٩.

٤ – مجمع اللغة العربية، المركز الثقافي المصري، مصدر سابق، ص٨١٧.

وهكذا يتحصل مما تقدم أن المعنى اللغوي لكلمة "إلحاد" هي: الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة والطريق القويم.

٤ – مفهوم الإلحاد اصطلاحاً

عرف الباحثون والمفسرون "الإلحاد" بتعريفات كثيرة ومتقاربة حيث ذكر الطوسي في تفسيره التبيان أن الإلحاد:

«هو العدول عن الاستقامة والانحراف عنها، حيث قال ابن عباس: إلحادهم تكذيبهم، وقال قتادة: هو شركهم».[١]

وفي تفسير الرازي:

«الملحد: هو الذي أمال مذهبه عن الأديان كلها، ولم يمله عن دين إلى دين آخر».[٢]

وفي مفردات القرآن:

«وألحد فلان أي مال عن الحق، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولايبطله».[٣]

وفي المفهوم المعاصر والمصطلح عليه في هذا العصر إنَّ الإلحاد يأتي معناه:

---

١ – محمد بن الحسن، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٣٩.

٢ – محمد فخر الرازي، التفسير الكبير، ج٢٠، ص١١٩.

٣ – الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٧٣٧.

«الاعتقاد بعدم وجود إله أو أي شيء خارج قوانين الطبيعة».[1]

فهو «مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى والقول بمادية الكون»[2].

وهذا المفهوم لم يعرف خلال التاريخ كظاهرة عامة بهذه الدرجة من الانتشار والذيوع، فقد ظهرت خلال القرون الثلاثة الأخيرة دعوات وفلسفات تجاهر بإنكار وجود الله تعالى، وتقول بأزلية المادة وتسند الخلق الذاتي لها، ففي المعجم الفلسفي للمصطلحات جاء إنَّ الإلحاد هو: «مذهب من ينكرون الألوهية، والملحد غير مؤله وهذا معنى شائع في تاريخ الفكر الإنساني، ويتضمن رفض أدلة المفكرين على وجود الله»[3]، فهو إنكار وجود رب خالق لهذا الكون متصرف فيه يدبر أمره بعلمه وحكمته، بل اعتبروا الكون أزلي وتغيراته تمت بالمصادفة أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، وأن كل تطور في هذه الحياة إنما من أثر التطور الذاتي في المادة، كما طرح هذا الشعار كارل ماركس "أنه لا إله والكون مادة".[4]

---

١ – د. مصطفى، حسيبة، المعجم الفلسفي، ص٥٢٤.

٢ – د. مانع بن حمادة، الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص٨٠٣.

٣ – د. إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي للمصطلحات الفلسفية، ص٢٧.

٤ – د. غالب بن علي، عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات، ص١٠٦٣.

المبحث الثاني:

الإلحاد في القرآن الكريم

بعد أن تحدثنا عن مفهوم الإلحاد لغةً واصطلاحاً، نأتي هنا لنسلط الضوء على هذا المفهوم بحسب الاستعمال القرآني له، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن استعمال القرآن الكريم لمصطلح من المصطلحات إنما هو استعمال اصطلاحي ديني، فهو داخل ضمن المعنى الاصطلاحي، وفي مبحثنا هذا تارة سوف نستعرض الآيات التي وردت فيها لفظة "إلحاد"، وتارة أخرى سوف نتناول الخطاب القرآني مع الفكر الإلحادي والمادي وكيف تعامل القرآن الكريم معه.

١ – لفظة "الإلحاد" ومشتقاتها في القرآن الكريم

سنستعرض هنا الآيات التي وردت فيها لفظة "إلحاد" في القرآن الكريم وأسباب ورودها وتفسيرها، فلقد وردت لفظة "إلحاد" المأخوذة من جذر «لَحَدَ» ست مرات في القرآن الكريم، ثلاث مرات بلفظ «يُلحِدُون» وذلك في سورة الأَعراف، وسورة النَحِل، وسورة فُصِلَت، وجاءت مرة واحدة بلفظ «إلحَاد» في سورة الحَج، ومرتين بلفظ «مُلتَحِدا» في سورة الكهف وسورة الجن.

ومن هذه الآيات الكريمة:

١ – قولَهُ تَعَالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1].

والإلحاد في أسمائه على وجهين:

أحدهما: أن يوصف بما لا يصح وصفه به.

والثاني: أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به.

ذَكَرَ الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان في تفسير هذه الآية {ولله الأسماء الحسنى}:

«إنَّ الله تعالى قد أخبرَ أن له الأسماء الحسنى نحو قوله {بسم الله الرحمن الرحيم} وغير ذلك من الأسماء التي تليق به، وأنه أمر تعالى خلقه أن يدعوه بها ويتركوا أسماء الجاهلية، وقوله {وذروا الذين يلحدون فيه}: يَلحَدون بفتح الياء والحاء، والإلحاد هو العدول عن الاستقامة والانحراف عنها وقال ابن جريح: اشتقوا العُزى من العزيز واللات من الله وكان ذلك إلحاداً. وقال ابن عباس: «إلحادهم تكذيبهم»، وقال قتادة: هو شركهم، وقال قوم: هو تسميتهم الأصنام بأنها ألهة، فهو تهديد للكفار وإن الله تعالى سيعاقبهم على عدولهم عن الحق في تغيير أسمائه»[2].

وهذا هو الإلحاد في أسماء الله عز وجل أي الميل والانحراف بها إلى الباطل إذ يثبتون له صفات النقص ماهو منزه عنها جل أسمه.

إذاً «يُلحِدون» هنا جاءت بمعنى: الذين يجورُّون ويعدلون عن الحق وعما

---

١ – الأعراف، آية ١٨٠.

٢ – محمد بن الحسن، الطوسي، مصدر سابق، ج٥، ص٣٩.

يجب اعتقاده في أسماء الله وصفاته.

٢ – في قولِهِ تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إنما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إليه أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ}.[١]

قرأها حمزة والكسائي "يَلحَدون" بفتح الياء والحاء غير عاصم، والباقون قرأها «يُلحِدون» بضم الياء وكسر الحاء.

وذكر الطبرسي في تفسيره مجمع البيان إن قوله سبحانه {ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر}:

«أي إنا نعلم أن الكفار يقولون إنَّ القرآن ليس من عند الله وإنما يُعلِم النبي(ص) بَشَر، وقال ابن عباس: قالت قريش إنما يعلمه بلعام وكان رومياً نصرانياً، ثم ألزمهم الله تعالى الحجة وأكذبهم بأن قال "لسان الذي يلحدون إليه أعجمي" أي لغة الذي يضيفون إليه التعليم ويميلون إليه القول أعجمية ولم يقل عجمي لأن العجمي هو المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً والأعجمي هو الذي لا يفصح وإن كان عربياً، وقيل يلحدون إليه يرمون إليه ويزعمون أنه يعلمك أي لسان هذا البشر الذي يزعمون أنه يعلمك أعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في أعلى طبقات البيان، «وهذا» أي القرآن الكريم«لسان عربي مبين» أي ظاهر بَيِّن لا يشكك يعني إذا كانت العرب تعجز عن الإتيان بمثله وهو بلغتهم فكيف يأتي الأعجمي

---

١ – النحل، آية ١٠٣.

بمثله، وقال الزَجاج: وصفه بأنه عربي أي صاحبه يتكلم بالعربية». [1]
وبهذا فكلمة «يُلحِدون اليه» في هذه الآية جاءت بمعنى: يسندون ويَنسِّبون إليه. وكانت هذه مزاعم الكفار في الطعن في القرآن الكريم بإيجاد أي شبهة للتشكيك فيه دون الالتفات إلى عدم منطقية هذه الشبهات التي يطلقوها.

٣ – قوله تعالى: {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً} [2].

قال صاحب مجمع البيان {ولن تجد من دونه ملتحداً} معناه:
«إن لم تَتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ، وقيل حرزاً، وقيل موئلاً، وقيل معدلاً ومحيصاً، والأقوال متقاربة في المعنى يقال لَحَدَ إلى كذا أو إلتَحَدَ إذا مال إليه». [3]

وجاء في الميزان قوله تعالى: «وَ اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ» إلى آخر الآية فقال:
«إن الملتَحِد اسم مكان من الالتحاد بمعنى الميل، ويمكن أن يكون المراد: ولن تجد أنت ملتحداً من دونه لأنّك رسول ولاملجأ للرسول من حيث إنّه رسول إلّا مرسله وأتلُ عليهم هذه الآيات المشتملة على الأمر الإلهيّ بالتبليغ لأنه كلمة إلهيّة ولا تتغيّر كلماته وأنت رسول ليس لك إلّا أن تميل إلى مرسلك وتؤدّي رسالته» [4].

---

١ – الفضل بن الحسن، الطبرسي، مجمع البيان، ج٦، ص١٥٢.

٢ – الكهف، آية ٢٧.

٣ – الفضل بن الحسن، الطبرسي، مصدر سابق، ج٦، ص٢٥٦.

٤ – محمد حسين، الطباطبائي، تفسيرالميزان، ج١٣، ص٣٢٣.

وعلى هذا يكون معنى «مُلتَحَدا» في هذه الآية الكريمة تعني ملجأ وموئلاً والملتحد: الملتجأ.

٤ - قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}.[١]

جاء في تفسير الميزان إنَّ قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ}:

«إنه بيان لجزاء من ظلم الناس في هذا الحقّ المشروع لهم في المسجد ولازمه تحريم صدّ الناس عن دخوله للعبادة فيه، ومعناه الّذين كفروا ولايزالون يمنعون الناس عن سبيل الله وهو دين الإسلام ويمنعون المؤمنين عن المسجد الحرام الّذي جعلناه معبداً للناس يستوي فيه العاكف والبادي، ونذيقهم من عذابٍ أليم لأنّهم يُرِدونَّ الناس فيه بإلحاد بظلم ومن يرد الناس فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم. وفي الكافي، عن ابن أبي عمير عن معاوية قال: سألت أباعبدالله(عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ: «وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ»، قال: كلّ ظلمٍ إلحاد، وضَرب الخادم في غير ذنب من ذلك الإلحاد. وفيه بإسناده عن أبي الصباح الكنانيّ قال: «سألت أباعبدالله(عليه السلام) عن قوله عزّ وجلّ {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ}، فقال(عليه السلام): كلّ ظلم يظلم الرجل نفسه بمكّة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء

١ - الحج، آية ٢٥.

من الظلم فإنّي أراه إلحاداً". [1]

وبهذا يتبين إن معنى «بإلحاد بظلم» في هذه الآية تعني: بميلٍ بظلم إلى الباطل، والظلم يكون عن قصد وعمد، وتاتي أيضاً عند ارتكاب شيئاً من المعاصي والكبائر في المسجد الحرام.

٥ – قولَهُ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [2].

جاء في الميزان لتفسير هذه الآية الكريمة {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا} قوله: «إنه سياق تهديد لملحدي هذه الأُمّة، والإلحاد هنا تعني: الميل، وإطلاق قوله «يُلْحِدُونَ» وقوله«آياتِنا» يشمل كلّ إلحاد في كلّ آية فيشمل الإلحاد في الآيات التكوينيّة كالشمس والقمر وغيرهما فيعدّونها آيات لله سبحانه ثمّ يعودون فيعبدونها، ويشمل آيات الوحي والنبوّة فيعدّون القرآن افتراء على الله وتقوّلاً من النبيّ(ص)، أو يُلغون فيه لتختلّ تلاوته فلا يسمعه سامع أو يفسّرونه من عند أنفسهم أو يؤوّلونه ابتغاء الفتنة فكلّ ذلك إلحاد في آيات الله بوضعها في غير موضعها والميل بها إلى غير مستقرّها». [3]

وبذلك يكون معنى «يُلحِدون» في هذه الآية هو يميلون عن الحق والصواب

---

١ – محمد حسين، الطباطبائي، مصدر سابق، ج١٤، ص٤٠٢.

٢ – فصلت، آية ٤٠.

٣ – محمد حسين الطباطبائي، مصدر سابق، ج١٧، ص٤٠٢.

بالطعن والتكذيب، والإلحاد في آيات الله إما بإنكارها وجحودها أو بتحريفها.

٦ – قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً}[١]

ذكرَ مجمع البيان في تفسير الآية:

«أنه قل لهم يا محمد «إني لن يجيرني من الله أحد» أي لا يمنعني أحد مما قدره الله علي «ولن أجد من دونه» أي من دون الله «ملتحداً» أي ملتجأً إليه أطلب به السلامة «إلا بلاغاً من الله» أي تبليغاً من الله وآياته «ورسالاته» فإنه ملجإي ومنجاي وملتحدي ولي فيه الأمن والنجاة، وقيل معناه لا أملك لكم ضراً ولا رشداً فما عليَّ إلّا البلاغ عن الله فكأنه قال لا أملك شيئاً سوى تبليغ وحي الله».[٢]

إذاً «ملتحداً» في هذه الآية تعني: ملجأ وموئلاً يلجأ إليه من دون الله.

وبعد هذا التتبع والاستقصاء لمعاني الإلحاد في القرآن ورغم أن القرآن الكريم قد استعمل هذا المفهوم بمعان□ مختلفة، وفي مواضع ومناسبات متعددة، إلّا أنه ماجاء بمعنى الإنكار والجحود هو مايهمنا في بحثنا هذا.

٢ – الخطاب القرآني مع الفكر الإلحادي والمادي

بعد أن تعرفنا على مفهوم الإلحاد الذي جاء في القرآن الكريم وتفسيرها

---

١ – الجن، آية ٢٢.

٢ – الفضل بن الحسن الطبرسي، مصدر سابق، ج١٠، ص١١٨.

حسب ما فصله وبينه علماء التفسير، نجد أن للقرآن الكريم خطاب آخر خاطب به الماديين والملحدين حيث تناول هذه القضية بمفاهيم ومصطلحات أخرى فأطلق اصطلاح "الكافرون" على من تصيب فطرتهم الأنماط المختلفة من الطمس والانحراف، وهؤلاء الكافرون قد يكونون "مُدَعون" أو "مُنكرون" أو "مشركون" أو "ضالون".

وللكفر معانٍ متعددة، فالكفر في اللغة مأخوذة من (كَفَرَ: الكاف والفاء والراء أصل واحد يدل على الستر والتغطية، والكفر ضد الإيمان، لأنه تغطية للحق)[1].

وفي لسان العرب جاء قوله:

«رجل كافر: أي جاحد لأَنْعُمِ الله، وسمي الكافر كافراً لأن الكفر غطى قلبه»[2].

وأما الكفر اصطلاحاً فقد جاء عن السيد اليزدي:

«إن الكافر من كان منكراً للاِلوهية أو التوحيد أو الرسالة أو ضرورة من ضروريات الدين مع الالتفات إلى كونه ضرورياً بحيث يرجع إنكاره إلى إنكار الرسالة»[3].

كما ذكر الشيخ سبحاني (أن للكفر أقساماً ذكرها المتكلمون وأصحاب

١ - أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص١٩١.

٢ - جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، ص٣٨٩٨.

٣ - السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، العروة الوثقى، كتاب الطهارة، مبحث النجاسات، ص١٤٣ - ١٤٤.

المعاجم ومنها:

١ - كُفر إِنكار بأَن لا يعرف الله أَصلاً ولا يعترف به.

٢ - وكفر جحود.

٣ - وكفر معاندة.

٤ - وكفر نفاق)[1]

وعن الإمام الصادق(عليه السلام) أنه قال: «**الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم، فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول من يقول: لارب ولا جنة ولا نار، والوجه الآخر من الجحود هو الجحود على معرفة أي أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق**».[2]

قال الله عزّ وجلّ: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}[3].

كما أن القرآن الكريم قد تناول من خلال القصص القرآني الأمم السابقة التي أنكرت وجود الله.

فلقد عرض القرآن الكريم بهذه الآيات بعض صور الملحدين الذين أنكروا الألوهية والرسالة والنبوة، كما استعرض كل أنواع الضلال والانحراف عبر

---

٤ – الشيخ جعفر السبحاني، الإيمان والكفر في الكتاب والسنّة، فصل الإيمان والكفر، ص٥٥.

٢ – محمد بن يعقوب، الكليني، أصول الكافي، باب وجوه الكفر، ص٣٨٩، ج٢.

٣ – النمل، آية ١٤.

العصور والأزمان لكن بأنماط وصور مختلفة وعن حقبات وشخصيات تأريخية متباينة، قد طمعت في المقام الإلهي وتدّعي الأُلوهيّة، ومنها تلك الآيات القرآنية التي حدثتنا عن نمرود، وفرعون موسى، وقوم نوح، وعاد، وثمود.

ففي هذه الآية الكريمة شاهد على نمط من أنماط الإلحاد الذي عُرض في القرآن الكريم فقد جاء في قوله تعالى:

{أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فإن اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[١]

فالآية الكريمة تثبت على وجود أقوام في الأمم السابقة قد أنكروا وجود الله وقدرته فالآية تصف لنا تلك المناظرة التي جرت بين نبي الله إبراهيم(عليه السلام) والملك نمرود بن كنعان[٢]، الذي حاج وخاصم إبراهيم وتجبر بإدعائه الألوهية والربوبية[٣].

وهكذا باقي الآيات الأخرى:

وقوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ

١ – البقرة، آية ٢٥٨.

٢ – في الروايات الشريفة عن الإمام علي(عليه السلام) قال: الذي حاج إبراهيم في ربه هو نمرود بن كنعان، (جلال الدين، السيوطي، الدر المنثور، ج٣، ص٢٠٣).

٣ – انظر (محمد بن الحسن، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٣١٦).

وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إليه مُرِيبٍ}[1].

قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إلى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}[2].

قوله تعالى: {هَلْ أتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} * {اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} * {فَقُلْ هَل لَّكَ إلى أَن تَزَكَّى} * {وَأَهْدِيَكَ إلى رَبِّكَ فَتَخْشَى} * {فَأَرَاهُ الآية الْكُبْرَى} * {فَكَذَّبَ وَعَصَى} * {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى} * {فَحَشَرَ فَنَادَى} * {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} * {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى}[3].

وهكذا نلاحظ أن القرآن الكريم لم يدع نمطاً من أنماط الانحراف عن الفطرة بادعاء الألوهية التي ظهرت إلّا واعترضه بالحجة والبرهان، كما وقد تحدث وأفاض في الكشف عن الخصائص النفسية والسمات الأخلاقية التي يتميز بها الماديون في أكثر من موضع، ونجد هذا واضحاً بالخصوص في السور القرآنية المكية لأنها اهتمت في حينها بغرس عقيدة التوحيد وتطهير النفس من أدران الشرك والوثنية والمادية، ولازالت تلك المعتقدات المادية إلى الوقت الحاضر مع اختلاف في المسميات والشعارات.

---

١ - إبراهيم، آية ٩.

٢ - القصص، آية ٣٨.

٣ - النازعات، الآيات ١٠ - ١٥.

إن الإلحاد يطلق على نوعين أحدهما يتمثل في اتخاذ شركاء مع الله أو التكذيب بالرسالات الإلهية وإنكار البعث، والآخر متمثل في إنكار وجود الله تعالى والقول بأزلية المادة وهذا النوع الأخير يعتبر سمة من سمات العصر الحديث.

كما أن القرآن الكريم بحسب ما وضحناه من كلمات المفسرين للآيات الواردة لم يكن استخدامه لمفهوم الإلحاد بالمعنى المصطلح عليه اليوم ألا وهو إنكار وجود الخالق، نعم استعمل مفردات أخرى مقاربة تشتمل وتتضمن المعنى الاصطلاحي وبأنماط تتناسب مع الحادثة المعروضة في الآية الكريمة، حيث وزعهم القرآن على مجموعات عدة منهم: الضالين، والكافرين، والمفسدين، وكما وضحناه في عرضنا لبعض الآيات الكريمة أنفاً.

وبذلك نكون قد عرضنا صورة جزئية للماديين من خلال الرؤية القرآنية ومن خلال ماسجله القرآن الكريم من قبل أربعة عشر قرناً فكذبوا وعتوا وجحدوا، وأن ما قرره القرآن بشأنهم إنما هو الحقيقة سواء في العصور القديمة أو الحديث.

المبحث الثالث:

الإلحاد في أحاديث المعصومين

بعد أن تعرفنا في المبحث السابق عن مفهوم الإلحاد في القرآن الكريم، سوف نتناول في هذا المبحث الأحاديث التي وردت عن رسول الله(ص) وأهل بيته الطيبين الطاهرين والتي جاءت فيها لفظة "الإلحاد"، سواء في خطاباتهم أو أدعيتهم ومناجاتهم التي كانت تعتبر باب من أبواب التوعية والتربية للناس، مع بيان مفهومها وبأي معنى استخدمت، حيث أكدوا(عليهم السلام) على هذا الجانب المهم ألا وهو الإلحاد والذي قد يكون له دور كبير في تلوث عقيدة الإنسان ومن ثم ينحى به إلى طريق الضلال. ونحن لسنا بصدد شرح الأدعية لكن فقط الإشارة إلى النقاط المهمة التي تخص البحث والتي لها مضامين تربوية ومعرفية عالية ودور الدعاء في التحذير من الانحراف العقائدي.

أولاً – أحاديث النبي محمد(ص).

حيث جاء في حديث رسول الله(ص) في قوله لحذيفة الغفاري[1]: «**يا حُذيفة، إنّ حجّة الله عليكم بعدي علي بن أبي طالب، الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشكّ فيه شكّ في الله، والإلحاد فيه إلحاد**

---

١ – حذيفة بن أسيد الغفاري، كان ممّن بايع النبي(ص) في بيعة الرضوان، يعتبر من رواة الحديث في القرن الأوّل الهجري، فقد روى أحاديث عن رسول الله(ص) منها حديث الثقلين، تُوفّي عام٤٢هـ بمدينة الكوفة.

في الله، والإنكار له إنكار لله، والإيمان به إيمان بالله، لأنه أخو رسول الله، ووصيّه، وإمام أُمّته ومولاهم، وهو حبل الله المتين، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب له: محبّ غال، ومقصّر».[1]

في هذا الحديث الشريف نجد أن الإلحاد الذي أشار إليه الرسول الكريم لحذيفة ألا هو الإلحاد في الإمام علي بن أبي طالب، إنما هو تحذير من الانحراف والميل عن خط الإمامة والأتباع الذي أوصى به رسول الله(ص) الناس قبل وفاته للإمام علي(عليه السلام) وهو «**من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه**»[2]، ويعزز ذلك حديثه(ص): «**الأئمة من بعدي اثنا عشر، أولهم أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني**»[3]، فكأنه عليه الصلاة والسلام قرن الانحراف عن إمامته كأنه انحراف عن الدين أجمع باعتبار أن الإمامة مناط الإيمان والدين وعليها يكون دخول الجنان والنيران

---

١ – محمد بن علي بن الحسين الصدوق، أمالي الصدوق، ص١٤٩. هناك حديث آخر عن الإمام علي(عليه السلام) يقول(هلك فيَّ رجلان محب غال ومبغض قال)، راجع (محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٤، ص٢٨٥).

٢ – محمد بن يعقوب، الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٢٩٥.

٣ – محمد علي الصدوق، كمال الدين، ح٤، ص٢٤٧.

لأنها من أصول الدين[1].

ثانياً – أحاديث الأئمة(عليهم السلام)

وفي حديث آخر لأمير المؤمنين(عليه السلام) في احتجاجه على زنديق مستدلاً عليه من آيات القرآن الكريم بعد حديث طويل قال فيها: «**فافهم عني ما أقول لك، فإني إنما أزيدك في الشرح لا ثلج في صدرك وصدر من لعله بعد اليوم يشك في مثل ما شككت فيه، فلا يجد مجيباً عما يسأل عنه، لعموم الطغيان، والافتنان، واضطرار أهل العلم بتأويل الكتاب، إلى الاكتتام والاحتجاب، خيفة أهل الظلم والبغي أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستوراً، والباطل ظاهراً مشهوراً، وذلك إذا كان أولى الناس به أعدائهم له، واقترب الوعد الحق، وعظم الإلحاد، وظهر الفساد، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، ونحلهم الكفار أسماء الأشرار، فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب الناس إليه ثم يتيح الله الفرج لأوليائه، ويظهر صاحب الأمر على أعدائه**»[2].

من خلال كلمات أميرالمؤمنين(عليه السلام) يتبين أن معنى "عظم الإلحاد" هوالميل والزيغ والانحراف عن الدين الإسلامي وعدم الالتزام بقوانين الشريعة

---

١ – وهذا ماجاء عن الصدوق "واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده(عليهم السلام) أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء"، راجع (محمد علي، الصدوق، رسالة الاعتقادات، ص١٠٤).

٢ – أحمد بن علي، الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٣٣٠.

والشارع المقدس، فالحق بعيد عن الأنظار لا أحد يعرف عنه شيء، والباطل قضاياه متداولة واضحة للناظر وقد أتفق الناس أجمعهم على التصديق بها، مما يولد كثرة الفساد والانحلال لغياب الرادع الذي يردع الإنسان عن المحرمات والطغيان[1].

وجاء كذلك في حديث الإمام الصادق(عليه السلام) فعن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبان، عن حكيم قال: «سألت أبا عبدالله(عليه السلام) عن أدنى الإلحاد؟ قال: «**إنَ الكِبْرَ أدناه**»[2].

ومعنى الكِبَر في معاجم اللغة: «هي العظمة والتجبُّر والترفُّع عن الانقياد»[3]، والكِبر هي حالة تعتري الإنسان نتيجة شدة أعجابه بنفسه وتعظيمِهِ لها، وتكون إحدى نتائجها أنه يبدأ باستصغار الناس والاستهانة بهم والترفع عليهم، حتى يصل إلى درجة التكبر على الأنبياء والرسل والأولياء، ثم التكبر على أوامر الله تعالى مما يمحي عنده إحساس الافتقار إلى الله تعالى والإحتياج اليه، فيخرج نفسه من إطار العبودية، ويصبح من أهل الكفر والجحود، ولذلك عُدَّ لون من الوان الإلحاد.

---

١ – وذلك بقرينة ماجاء في الحديث من أن (الحق مستوراً والباطل ظاهراً مشهوراً)، انظر (مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٤١٦، ص٤٩٨).

٢ – محمد بن الحسن، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص٣٧٤.

٣ – محمد بن مكرم بن علي بن منظور، الأنصاري، لسان العرب، ص٣٨١٠.

ثالثاً – أدعية الأئمة(عليه السلام)

ومن أدعية الإمام علي بن الحسين السجاد(عليه السلام) في الصحيفة السجادية أذ يقول فيه: «**الحَمْدُ لِلهِ الأوَّل بِلا أوَّلٍ كانَ قَبْلَهُ، والآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذي قَصُرتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أبْصارُ النّاظِرِينَ وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أوْهامُ الواصِفِينَ،** ..الى أن يصل الى... **والحَمْدُ للهِ عَلى ما عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِهِ وَألْهَمَنا مِنْ شُكْرِهِ؛ وَفَتَحَ لَنا مِنْ أَبْوَابِ العِلْمِ برُبُوبِيَّتِهِ وَدَلَّنا عَلَيْهِ مِنَ الإخْلاصِ لَهُ في تَوْحِيدِهِ؛ وَجَنَّبَنا مِنَ الإلحاد وَالشَّكِّ في أمْرِهِ، حَمْداً نُعَمَّرُ بِهِ فيمَنْ حَمِدَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَنَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إلى رِضاهُ وَعَفْوِهِ؛ حَمْداً يُضيءُ لَنا بِهِ ظُلُماتِ البَرْزَخِ؛ وَيُسَهِّلُ عَلَيْنا بِهِ سَبيلَ المَبْعَثِ، وَيُشرِّفُ بِهِ مَنازِلَنا**»[1] إلى آخر الدعاء.

ويأتي معنى هذه الجملة «من الإلحاد والشك في أمره» في هذا الدعاء المبارك أي الانحراف عن الحقيقة والشك بوجوده أو أنه واحد أو أكثر[2].

وكذلك دعاء الإمام علي بن الحسين السجاد(عليه السلام) في يوم الأحد: «**اللَّهُمَّ إِنِّ أَبْرَأُ إِلَيْكَ فِي يَوْمِي هَذَا ومَا بَعْدَهُ مِنَ الْآحَادِ، مِنَ الشِّرْكِ وَالإلحاد، وأُخْلِصُ لَكَ دُعَائِي تَعَرُّضاً لِلْإِجابَةِ، وَأَقْهَرُ نَفْسِي عَلَى طَاعَتِكَ رَجَاءً لِلْإِثَابَةِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ خَيْرِ خَلْقِكَ، الدَّاعِي إلى حَقِّكَ، وأَعِزَّنِي بِعِزِّكَ الَّذِي لَايُضَامُ، وَاحْفَظْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَاتَنَامُ، واخْتِمْ بِالِانْقِطَاعِ**

---

١ – علي بن الحسين، زين العابدين، الصحيفة السجادية، الدعاء الأول، ص٣٠.

٢ – محمد، الحسيني، شرح الصحيفة السجادية، ص٢٠.

إِلَيْكَ أَمْرِي، وبِالْمَغْفِرَةِ عُمُرِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[1].

في هذا الدعاء الشريف للإمام زين العابدين(عليه السلام) نجد أن البراءة من الإلحاد قد قُرنت مع الشرك لما لها من معنى مشترك في الانحراف من الحق إلى الباطل فالبراءة من الشرك والإلحاد تعد تولياً للتوحيد، فالشرك الذي يعرف بأنه إيجاد شريك مع الله عز وجل أيّاً كان هذا الشريك، والإلحاد يشمل كل معانيه من الشرك إلى إنكار وجود الله، فكانت تعزيز للبراءة من الانحراف بكل أشكالهِ[2].

وأخيراً ماجاء في دعاء الندبة المنسوب إلى الإمام الحجة(عليه السلام) أيضاً قوله: «**أَيْنَ مُبيدُ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ، أَيْنَ حاصِدُ فُرُوعِ الْغَيِّ وَالشِّقاقِ، أَيْنَ طامِسُ آثارِ الزَّيْغِ وَالأهْواء، أَيْنَ قاطِعُ حَبائِلِ الْكِذْبِ وَالاِفْتِراءِ، أَيْنَ مُبيدُ الْعُتاةِ وَالْمَرَدَةِ، أَيْنَ مُسْتَأصِلُ أَهْلِ الْعِنادِ وَالتَّضْليلِ وَالإلحاد، أَيْنَ مُعِزُّ الأَوْلِياءِ وَمُذِلُّ الأَعْداءِ، أَيْنَ جامِعُ الْكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوى، أَيْنَ بابُ اللهِ الَّذى مِنْهُ يُؤْتى، أَيْنَ وَجْهُ اللهِ الَّذي إليه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِياءُ...**» إلى آخره»[3].

في هذا المقطع من دعاء الندبة يبين مهام الإمام الحجة(عج) ودوره في إنهاء كل أنواع الإلحاد والانحراف والشك نتيجة ما تعرض له الدين الإسلامي من

---

١ - علي بن الحسين، السجاد، مصدر سابق، أدعية الأيام، ص١٧٤.

٣ - انظر (نعمة الله، الجزائري، نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية، ص٣٨٠ - ٣٨٨).

٣ - محمد باقر المجلسي، زاد المعاد، دعاء الندبة، ص٣٠٣.

تشويه كبير خلال القرون الماضية وطمس لأحكامه، فعملية إحياء هذا الدين والرجوع به إلى الجادة الصحيحة يتطلب مقاومة للخطوط الفكرية المنحرفة والمؤسسات التي بذلت جهوداً كبيرة لتحريف الدين والانتهاء به إلى إنكار الخالق، وإن تفكيك هذه الأنظمة ومحاربتها وإعادة تأسيس جذور وبنى عقائدية سليمة لا يتم إلّا على يد آخر وصي من أوصياء رسول الله(ص) والذي نص عليه بأمر الله[١].

وهكذا نستخلص من الأحاديث والأدعية المباركة التي فيها الشيء الكثير من معارف النبوة والإمامة وما تحويه من تفاصيل التربية الأخلاقية، بأن دعوة المعصومين(عليهم السلام) كانت أغلبها تعوذ واستجارة من الإلحاد ورغم أنها جاءت بمناسبات مختلفة، إلّا أن مفهومها واحد ألا وهو الانحراف، والشك، والميل عن الجادة الصحيحة، خوفاً وحرصاً على الدين لاسيما في باب العقائد والتي هي أساس في الحركات الرسالية السماوية من الانحراف والشقاق ومن الشك والشبهة، لما للشك من مردود سيء على النفس البشرية، فإن الشك قد يؤدي إلى ترسيخ الأفكار الضالة في النفس والتي بدورها توصل إلى الانحراف العقائدي وطمس وتحريف للأحكام الشرعية، مما أدى إلى انحراف أمم وشعوب، فلقد وصلت البشرية إلى ماوصلت إليه من الانحراف حتى عاد الإنسان على شفا حفرة من النهاية والكون مغموراً بالفساد إن هو إلّا حصيلة الإرباك والزعزعة الإيمانية لا سيما في باب العقائد.

١ - انظر (فوزي آل سيف، تأملات في آيات الظهور، ص٧٠ - ٧٨).

المبحث الرابع:

تأريخية وأنماط الإلحاد

إن تصنيف الإلحاد إنما يكون قائماً على أساس الإيمان بوجود إله من عدمه، فالملحد هو الإنسان غير المؤمن إطلاقاً بوجود الإله والذي اجترأ بإنكار وجود خالق أو مبدع لهذا الكون وكفر بما عدا الطبيعة المادية التي يسكنها، ويزعم إنَّ الكون وجد بذاته نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة.

فالإلحاد في التاريخ الإنساني لم يكن ظاهرة بارزة ذات تجمع بشري كما هي في العصر الحاضر، بل إنَّ معظم النزعات الإلحادية التي ظهرت في التاريخ البشري وعند بعض الأفراد كان ظاهرة فردية شاذة، فعند استعراض التاريخ منذ عصر ما قبل الميلاد وإلى الوقت الحاضر نجد التدرج والتزايد الملحوظ في الداعين والمناشدين لهذه الظاهرة ألا وهي الإلحاد، وكما جاء في سلسلة المذاهب الفكرية قوله:

«لم يصبح الإلحاد ظاهرة وبائية في كتل بشرية وتجمعات إنسانية ثقيلة وخطيرة إلّا بعد أن خطط اليهود لنشر الإلحاد في الناس وإقامة منظمات ودول كبيرة تدين به وذلك خلال القرنين التاسع عشر والعشرين»[١].

حيث انتشر الإلحاد في أوروبا أولاً ثم انتقل بعد ذلك إلى أمريكا وبقاع

١ – د.عبد الرحمن حسن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص٤٣٥.

العالم[1].

وبما أن الإلحاد والزندقة حركة فكرية قديمة، وبرغم صعوبة تحديد وقت ثابت ومعين لها حسب ما ذكره الباحثون، لذا تراءى لنا تقسيم المراحل التأريخية للإلحاد إلى مراحل منها:

١ – عهد الحضارات الإغريقية والرومانية

عندما نستعرض التاريخ منذ العصور الأغريقية واليونانية نجد أنها كانت تتسم بالحركات العلمية الواسعة والفلسفات المطلقة التي لم تعرف في حريتها حدود، وكانت لهم آراء حاولوا فيها تفسير الوجود والكون وظواهره والتغيرات التي تجري فيه، تفسيرات تستبعد كليّاً فكرة وجود خالق أبدي أزلي عليم حكيم، حيث كانت دولة متأصلة ومكتظة بالفلاسفة والمفكرين ورجال السياسة والحكم، ونجد فيها أول دعاة المادية ألا وهو الفيلسوف اليوناني **ديمقريطس** الأبديري[2]، وهو صاحب المذهب الذري والذي عهده يرجع إلى حوالي

---

١ – راجع (جعفر إدريس، الفيزياء ووجود الخالق، ص١٩)، وراجع (حلمي القمص، رحلة إلى قلب الإلحاد، ج١، ص٩).

٢ – ديمقريطس: – فيلسوف يوناني ولد في أبديرة (وباليونانية تسمى أفديرا)، في جنوب غرب تراقيا باليونان، فترة مابين (٤٦٠ – ٣٧٠) ق.م، وقد كان أحد الفلاسفة المؤثرين في عصر ما قبل سقراط وكان تلميذاً للفيلسوف ليوكيبوس، الذي صاغ النظرية الذرية للكون (هي نظرية علمية تشرح طبيعة المادة، وتنص على أن المواد تتألف من وحدات بنائية لها كيان بحد ذاتها وتترابط فيما بينها وتدعى الذرات، بدأت النظرية الذرية كفكرة فلسفية منذ عهد الإغريق، وتبلورت تدريجياً حتى دخلت الوسط العلمي في أوائل القرن التاسع عشر، عندما بينت التجارب الكيميائية أن المادة مكونة من ذرات

ثلاثمائة سنة قبل الميلاد، فقد زعم هذا الفيلسوف أن العالم مؤلف من ذرات متجانسة في طبيعتها لكنها مختلفة حجماً وشكلاً وثقلاً ولا تدرك بالحواس ولاتنقسم ولاتفنى وتتحرك دائماً فيلتصق بعضها ببعض وتتكون الأجسام، فهو لا يركن إلى الحواس في إدراك حقائق الأشياء بل يركن إلى العقل[1]. والنفس الإنسانية عند "ديمقريطس" مادية أيضاً، لأن الكل عنده مركب من ذرات وهي قديمة، يقول ديمقريطيس: «إن علل الأشياء التي تأتي إلى الوجود ليس لها بداية ولكنها من زمن لامتناهي سحيق، ومن ثم فإن العالم يبقى زمانياً بدون بداية وبدون نهاية»[2]، وبذلك يكون ديمقريطيس هو أول من قال بقدم الطبيعة، كما أنه انتقد كل القدماء في تفسيرهم للآلهة واصفاً إياهم بالجهل باعتبار أن هذه الآلهة ليست خالقة لهذا العالم الطبيعي. ولقد وصف كارل ماركس[3] ديمقريطس بأنه «أول عقل موسوعي بين اليونانيين» كما قال

بالفعل)، راجع (د.محمد جلوب الفرحان، ديمقريطيس البديري ومدرسته الذرية، مجلة فلسفية إلكترونية، https://drmfarhan.wordpress.com).

١ – انظر (حسين محمد نصار، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، ص١٥٨١).

٢ – علي سامي، النشار، ديمقريطيس فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة، ص٢٠.

- ٣كارل هاينريش ماركس: – عاش من فترة (٥ مايو ١٨١٨م – ١٤ مارس ١٨٨٣م) فيلسوف ألماني وعالم اقتصاد وسياسي ومنظر اجتماعي، ولد من أبويين يهوديين في مقاطعة الراين، ألمانيا، وهو حفيد الحاخام اليهودي مردخاي ماركس، وعانت أسرته من الاضطهاد الواقع على اليهود بسبب الصراع بين السامية (اليهود) والأرية (الجنس الألماني) لذلك أعتنقت أسرته المسيحية هروباً من الاضطهاد، استهوته " نظرية التطور" التي تُنكر الله الخالق، ووجد ضالته المنشودة في كتاب "أصل

عنه لينين[1] «أنه ألمع دعاة المادية في العالم القديم»[2].

٢ – عهد الجاهلية العربية

تدل الشواهد التأريخية على وجود ملحدين قبل الإسلام باسم «الدهرية»، وهو اعتقاد فكري ظهر في فترة ماقبل الإسلام، حيث كانوا يعتقدون بقدم العالم وأزليته، وإن العالم لم يزل ولايزال، وأنه لايتغير ولايضمحل، وعطلوا المصنوعات عن صانعها، وقد ذكرهم القرآن الكريم بقوله: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}[3].

وهؤلاء عبارة عن فرقتان، فرقة تنكر الخالق والبعث ويعتقدون بقدم الزمان والمادة والكون وأنكروا الألوهية والخلق والبعث والحساب كما أنهم يرون أن الموجب للحياة والموت هي طبائع الأشياء وحركات الأفلاك، وفرقة تقر

الأنواع" لداروين حيث الصراع على الحياة والبقاء للأفضل. راجع (حلمي يعقوب القمص، رحلة إلى قلب الإلحاد، ج١، ص٩٠).

١ – فلاديمير أليتش أوليانوف المعروف بلينين بالروسية، ولد في (٢٢ أبريل عام ١٨٧٠ – توفي ٢١ يناير عام ١٩٢٤) في مدينة سيمبيرسك الروسية، ثوري روسي ماركسي يهودي الأصل، تم اختياره لزعامة حزب العمل الاشتراكي في عام ١٩٠٦، حتى بدأت معالم الثورة تتضح أنها ضد الدين وضد الألوهية، حيث إن لينين قبّح ليس عبادة الله فقط، بل مجرد التفكير في الله، فقال (إن كل فكرة دينية، أو فكرة عن الله، حتى التمادي بفكرةٍ عنه، هي قباحة لا يُنطق بها، وهي أعظم خطراً وأشدها عدوى من أية عدوى كانت، فملايين الخطايا والأعمال القبيحة ومظاهر الضعف والعدوى الجسدية، لهي أقل خطراً من فكرة روحيَّة خدَّاعة عن الله). راجع (حلمي يعقوب القمص، مصدر سابق، ص٩٨).

٢ – د. عمرو شريف، وهم الإلحاد، ص٣.

٣ – الجاثية، آية ٢٤.

بالخالق وتنكر البعث أو الرسل، ويطلق على هؤلاء الفرقتين اسم معطلة العرب[1].

٣ – عهد الإسلام

لقد برزت وانتشرت الحركات الإلحادية في بدايات القرن الثاني الهجري، ففي أوائل العصر العباسي بدأ المسار الفكري يشهد انحرافاً عن الخط الديني وذلك بسبب الانفتاح العلمي الواسع الذي حدث على المدارس الفلسفية الفارسية واليونانية والمدارس الفلسفية الأخرى، وكان للفلاسفة جهود حثيثة ودور بارز في نقل الفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامي، مما ترتب عليه إفساد عقائد كثير من المسلمين، لأنها تخالف القرآن الكريم والسنة النبوية، لاسيما في قولهم بقدم العالم وإنكار حشر الأجساد، وإنكار علم الله وسائر صفاته.

ولقد سميت هذه الحركات الإلحادية بالزندقة، وأطلقت الزندقة أبتداءا□ على القائلين بأن للعالم أصلين أزلين هما الظلمة والنور وأن العالم مصنوع ومركب منهما، وهولاء أتباع الديانة المانوية[2]. ولقد سمي المانوية زنادقة لميلهم إلى تأويل الكتب المقدسة للديانات الأخرى وشرحها حسب آرائهم وأهوائهم، وينقل التاريخ أن كثير من الزنادقة كانوا من المانوية غير أنه كان بجانبهم فئات

---

١ – انظر (محمد عبد الكريم، الشهرستاني، الملل والنِّحل، ج٣، ص٦٥١).

٢ – المانوية جمعت جوهر الديانات الثلاثة (الزرداشتية والبوذية والمسيحية) في قالب جديد وصيغة جديدة. فأخذت التثليث من المسيحية وتناسخ الأرواح من البوذية ونظام الأثنوية من الزرداشتية، ويزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والظلمة وإنهما أزليان. راجع (المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٩).

أخرى تعتنق ديانات فارسية قديمة كالمرقونية والديصانية والمزدكية[1].

ولو تتبعنا معنى لفظة الزِنديق نجدها قد وردت في القاموس المحيط: «بالكسر من الثنوية[2]، أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان»[3].

وقد وردت لسان العرب بأنه: «القائل ببقاء الدهر، والكلمة فارسية معربة، والزَندقةُ تعني: الضِيقُ، وقيل الزنديق منها لأنه ضَيَقَ على نفسه التهذيب، والزنديق معروف وزندقته أنه لايؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق، وقال ابن منظور ليس في كلام العرب زنديق، وإنما تقول العرب رجل زَندَق، وزندَقي: إذا كان شديد البخل، فإذا أرادت العرب معنى ماتقوله العامة قالوا مُلحِد ودَهرِي»[4].

٤ – العصور الوسطى وعصر النهضة الأوروبية

وسميت العصور الوسطى بذلك لوقوعها بين حقبتين هي الحضارة اليونانية والنهضة الأوروبية، حيث تبدأ من فترة سقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب

١ – المزدكية: دينٌ ثَنَوي منبثق من المانوية، مؤسسُهُ الزعيم الديني الفارسي مَزْدَك المتوفى نحو ٥٢٨ ميلادي. راجع (محمد عبد الكريم الشهرستاني، مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٥).

٢ – الثنوية: – هم الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس قالوا بحدوث الظلام، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم وغختلافهما في الجوهر والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. راجع (محمد عبد الكريم الشهرستاني، مصدر سابق، ج٢، ص٢٦٨).

٣ – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٨٩١.

٤ – جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، ص١٨٧١.

عام ٤٧٦م، فمنذ بداية الاعتراف بما يسمى بالمسيحية الرسمية في مجمع نيقة عام ٣٢٥م[١]، تسلم رجال الكنيسة[٢] سلطة دينية تكاد تكون سلطة مطلقة دون أن يكون لهم دين صحيح ثابت بمصادر صحيحة، فأصبحوا يحللون ويحرمون بحسب آرائهم وأهوائهم ولخدمة مصالحهم ومصالح المسيحية المحرفة الأصول[٣]، حيث بدأت الكنيسة تمارس الطغيان والإرهاب في أبشع صوره

---

١ – سمي مجمع نيقية بهذا الاسم نسبة إلى مدينة نيقية التي عقد فيها الاجتماع للإقرار بالمسيحية الرسمية، وهي مدينة إغريقية قديمة تقع على الساحل الغربي للأناضول على بحر مرمرة تسمي إزنيق حديثاً، وسبب انعقاد هذا المجمع هو التعارض والاختلاف العقدي الموجود في الكنسية في تلك الأزمان، وكان أبرز وجوه الاختلاف التعارض بين دعوة كنيسة الإسكندرية – التي كانت تنادي بألوهية المسيح على مذهب بولس – وبين دعوة الأسقف الليبي (آريوس) في الإسكندرية أيضاً الذي وُصِفَ بأنه عالم مثقف، وعالم بالتفسير، حيث أخذ ينادي بأن الله إله واحد غير مولود، أزلي، أما الابن فهو ليس أزليّاً وغير مولود من الأب، وأن هذا الابن خرج من العدم مثل كل الخلائق حسب مشيئة الله وقصده. راجع (سامي المنصوري، المسيحية ومجمع نيقة، الحوار المتمدن، العدد ٤٣٣٨، لعام ٢٠١٤م).

٢ – الكنيسة هي معبد النصارى الذي يجتمعون فيه يوم الأحد لعبادتهم.

٣ – الديانة المسيحية: – هي التي نزلت على النبي عيسى(عليه السلام) مكملة لرسالة موسى ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، وداعية إلى التهذيب الوجداني والرقي العاطفي والنفسي، ولكنها سرعان مافقدت أصولها وامتدت يد التحريف إليها حيث ابتعدت كثيرا عن صورتها السماوية لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية، وأدخلوا في دين الله كثير من الخرافات والبدع، فرفعوا عيسى(عليه السلام) من مرتبة البشر إلى مرتبة الألوهية، إذ قالوا إن المسيح هو ابن الله، ومنهم من يعتقد أنه هو الله نفسه، ونادوا بأسطورة التثليث، وقد أشار القرآن الكريم إلى كفر معتقدهم بقوله تعالى {وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابن اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} التوبة ٣٠، وقوله {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابن مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

وخصوصاً ضد العلم والعلماء، وحاربوا المفكرين وسوقهم إلى محاكم التفتيش، واحتكروا زعامة المجتمع فتفشت الخرافات وعم الجهل، وصحب ذلك كراهة للدين ونفور منه، مما ولد نزعة شكية إلحادية كبيرة وأدى بالعلماء إلى تبني موقفاً عدائياً من الدين والشك فيه وفي وجود الله، وكانت النتيجة أن ترك الناس الدين الذي يحجبهم عن العلم ويحجر عليهم التفكير وطلب المعرفة[1]، وعلى إثر ذلك ظهرت فكرة العلمانية[2]، التي بدأت بضرورة منع تدخل الدين في السياسة وشؤون الحكم، وقصره على المعاملات الخاصة فقط، وبدأ الناس ينصرفون عن الدين شيئاً فشيئاً، فبعد سلسلة من الاضطرابات في أواخر العصور الوسطى، وبمجئ القرنين السادس عشر والسابع عشر تزايد انزعاج السلطات الدينية بسبب كثرة حالات الكفر والإلحاد التي اعترضت طريقها،

إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة٣١، وكذلك قوله تعالى {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابن مَرْيَمَ} المائدة٧٢، وقد تلاعبت أياديهم بالإنجيل الأصلي بالتحريف حذفاً وزيادة، واعترف كثير من علمائهم بوجود مواضع محرفة بالإنجيل ومن بينهم القس (نورتن) الذي أعترف بوجود سبعة مواضع ملحقة بالإنجيل، واستندوا هؤلاء الناقدون في قولهم بالتحريف على أسس وأدلة أُخذت بنظر الاعتبار من الناحية التاريخية ومن ناحية المضمون والمحتوى، ولمن أراد الزِيادَةُ في هذا المجال فليراجع (د.أحمد عبد العزيز الحصين، النصرانية وما اعتراها من تبديل وتحريف، ص٨ – ١٥)، و(د.مانع حمادة الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص٥٧٤).

١ – انظر (هـ.أ.ل فشر، ترجمة أحمد نجيب، تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ص٣٢١ – ٣٢٣)، وانظر (د.صابر طعيمة، الإلحاد في مجتمعات المسلمين، ص١٣ – ١٦).

٢ – العلمانية:بتعريف دائرة المعارف البريطانية "حركة اجتماعيّة تتّجه نحو الاهتمام بالشّؤون الدُّنيويّة بدلاً من الاهتمام بالشّؤون الآخروية". راجع (محمد شاكر الشريف، العلمانية وثمارها الخبيثة، ص٣).

حيث بدأ علماء ذلك العصر في وضع الأسس العلمية لنهضة تقوم على العلم والعقل بعيداً عن الدين ورجاله، فجعلوا العقل هو المرجع والحكم في الأمور كلها، فأنكروا الغيبيات «ماوراء الطبيعة» واعتمدوا على المحسوسات والماديات، حتى أصبحت عبادة المادة هي الأساس المشترك لجميع الملاحدة على اختلاف مذاهبهم، فالنهضة الأوروبية: «هي حركة واسعة انطلقت من إيطاليا وعمت بلدان أوروبا الغربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، والتي اتسمت برفض قيم العصور الوسطى، ثم تبعتها اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. مما أدى إلى نشأت وانتشار المذاهب الفكرية المعاصرة في الغرب أولاً ثم أمتدت إلى مختلف شعوب العالم ومنها إلى شعوب الأُمة الإسلامية»[١].

وكان من أبرز من ظهر في تلك الفترة جيودانو برونو[٢] الأيطالي، وكذلك الفيلسوف البريطاني توماس هوبز[٣]، وهو أول المادين المحدثين الذين أحيوا مادية ديمقريطس والأبيقوريين اليونانين[٤]، وهو الذي شبه أجهزة جسم

١ – محمد الزين، عصر النهضة الأوروبية، الموسوعة العربية، باب البحوث، https://www.arab-ency.com.

٢ – جيوردانو برونو، فيلسوف إيطالي، عاش فترة (١٥٤٨م – ١٦٠٠م).

٣ – توماس هوبز، فيلسوف إنكليزي، عاش من فترة (١٥٨٨م – ١٦٧٩م).

٤ – سميت الابيقورية بهذا الاسم نسبة إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور الذي عاش من فترة (٣٤٢ق.م – ٢٧٠ ق.م) وهى مدرسة فلسفية واستمرت ٦ قرون، يعتبر الابيقوريين من ضمن من آمنوا بالنظرية الذرية، حيث كانت لإبيقور ومن تبعه من تلاميذه نظرية في الطبيعة، مقتضاها إرجاع كل شيء في عالمنا إلى ذرات، ويرى أن الدين والموت مصدران أساسيانِ للخوف، فنحى بذلك منحى مادي.

الإنسان بمجموعة من الآلات التي تحكمها القوانين الفيزيائية[1]، وكذلك الفيلسوف بيير جاسندي الفرنسي[2] الذي أحيا النظرية الذرية[3]، ومن ثم الفيلسوف الألماني أرثر شوبنهاور[4]، الذي أقر بالإبداع والإتقان والإرادة في خلق الكون، ولكنه لم يُرجع هذا لله، إنما أرجعه إلى الطبيعة الجامدة، وقال: «إن فكرة الدين من صنيعة البشر»[5]. وتلميذه فريدريك نيتشة[6]، الذي أعلن من جانبه موت الخالق الأعظم وقال: «إن الدين فكرة عبثية وجريمة ضد الحياة».[7]

ومذهبه أن الهدف من الحياة الاستمتاع باللذات وماالحياة إلّا حادث في كون آلي ونحن نتاج طبيعة لا تكترث بنا ولا تبالي. راجع «عبد الرحمن حسن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص٧٢).

١ – انظر (عمرو شريف، خرافة الإلحاد، ص٢٢). وانظر (يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤٠.)

٢ – بيير جاسندي بطرس: عاش فترة (١٥٩٢م – ١٦٥٥م)، فيلسوف وعالم فرنسي، نوه بأهمية البحث التجريبي.

٣ – انظر (جان فال، الفلسفة الفرنسية، ص٢٠). وانظر (أحمد بن سعود، الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات، ص٥٨).

٤ – أرثر شوبنهاور، فيلسوف الماني ملحد، عاش فترة (١٧٨٨م – ١٨٦٠م).

٥ – حلمي القمص، رحلة إلى قلب الإلحاد، ج١، ص١٣٥.

٦ – فردريك نيتشة، فيلسوف ألماني ملحد، عاش فترة (١٨٤٤م – ١٩٠٠م).

٧ – عبد العزيز، المحمدي، الإلحاد في العصر الحاضر، ص٥١.

٥ – عصر الشيوعية والماركسية

لقد انبثقت ونشأت الشيوعية كنظرية سياسية في نهاية القرن الثامن عشر، وكانت ثورة ضد الرأسمالية الغربية، وضد الكنيسة المتحكمة في الشعوب آنذاك، وكانت ثورة طاغية عاتية. والماركسية هي نظرية فكرية واقتصادية وسياسية واجتماعية، وهي منهج كارل ماركس[١]، والذي يعتبر أبرز منظريها والأب الروحي لها، وهو أول من وضع مبادئ المادية الجدلية[٢]، وأسس نظرية الاشتراكية العلمية[٣] بالاشتراك مع زميله فردريك إنجلز[٤]، الذي التقى به عام ١٨٤٤، وبقيت مجرد نظرية في أوروبا حتى قامت الثورة الشيوعية في روسيا بقيادة فلاديمير لينين، حيث تزعم لينين الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م إلى أن توفي عام ١٩٢٤م. وهي حركة فكرية واقتصادية يهودية تقوم على الإلحاد،

---

١ – تم تعريفه مسبقاً.

٢ – المادية الجدلية: هي ركن أساسي من أركان الفلسفة الماركسية، بناها كارل ماركس، وهي تنفي أن تكون المادة قد خلقت من العدم، وأن المادة أزلية وأبدية وأن قوانين المادة تحكم الطبيعة وحياة البشر وأنها تسيطر على الكون من مجرات ونجوم وأجرام سماوية، كما جادلوا في الذات الإلهية وأن أي شيء لاوجود مادي له أو غير محسوس أو غير مرئي فإنه لاوجود له، وتنفي الحاجة إلى محرك أولي للكون وللحياة. راجع (فاسيلي بودوستنيك، ترجمة جورج طرابيشي، الف باء المادية الجدلية، ص١٤)، وراجع (محمد نبيل نشواني، الإسلام يتصدى للغرب الملحد، ص١٧٥).

٣ – الاشتراكية العلمية: هي المذهب الاقتصادي الذي يقوم على إلغاء الملكية الفردية إلغاءاً كاملاً.

٤ – فريديرك أنجلز فيلسوف الماني ملحد، عاش من فترة (١٨٢م – ١٨٩٥م)، ملحد الديانة، التقى بكارل ماركس في باريس عام ١٨٤٤م، أسس مع ماركس نظرية الشيوعية العلمية. راجع (فردريك أنجلز، ترجمة أحمد عز الدين، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ص٣ – ٥).

وأنه ليس في الكون إله، وكانت لها عدة غايات وأهداف من أهمها القضاء على الأديان، وشعارهم لا إله والحياة مادة[1]، وأن ماوراء الطبيعة من الغيبيات إن هو إلّا سراب يجب أن يختفي أمام عالم المحسوسات وإنَّ الإنسان تجمع من ذرات وأن أصله قرد، اعتمادا على نظرية تطور الإنسان التي وضع أسسها تشارلز داروين[2].

كان الغرض من هذه النظرية هدم العقائد المقدسة والقضاء عليها، فلقد استهوت ماركس نظرية التطور التي تُنكر الله الخالق، ووجد ضالته المنشودة في كتاب أصل الأنواع لداروين، حيث الصراع على الحياة والبقاء للأفضل، فأنكر ماركس الوحي الإلهي والأمور الميتافيزيقية من خلود وحياة أبدية وأعتقد أن العقائد الدينية هي وليدة العقل وليس الوحي، وشيئاً فشيئاً لم يخفِ ماركس إلحاده وازدرائه بالدين، واعتقاده إنَّ الدين يُغيبُ الشعوب عن الواقع، وقال مقولته الشهيرة: «أن الدين هو أفيون الشعوب»[3].

وبذلك سعت الشيوعية جاهدة للقضاء على الأديان في البلاد التي انتشرت

---

١ – انظر غالب بن علي، عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة، ج ١، ص١٠٦٣.

٢ – تشارلز روبرت داروين، عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني عاش من فترة ١٨٠٩م – ١٨٨٢م، اكتسب شهرته كمؤسس لنظرية التطور، والتي تنص على أن كل الكائنات الحية على مر الزمن تنحدر من أسلاف مشتركة، نشر كتابه أصل الإنسان في عام ١٨٧١م ولم يكن له قبول من قبل الدينين في ذلك الوقت حيث رأوا بأفكار دارون تحدي لمفاهيم الأخلاق والدين باعتبار أن الكون هو عالم مشرع ومنظم بأمر الله. راجع (مجدي المليجي، أصل الأنواع، ص٣١).

٣ – حلمي يعقوب، القمص، رحلة إلى قلب الإلحاد، ج١، ص٩٠.

فيها ومارست كل أنواع الإرهاب من قتل وترحيل لعلماء الدين، فأغلقت المساجد والكنائس وفرضت الإلحاد على الشعوب، ومنعت تدريس الدين في المدارس وفرضت عقوبات السجن على كل من ينشر تعاليم الدين. ولقد مارست ضد الإسلام كل أساليب العداء والخصومة حتى تنسلخ الأجيال المسلمة عن ولائها للإسلام فكان خطره قد انتشر في العراق وسوريا ولبنان ومصر وتركيا، فبعد إسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية في تركيا قام مصطفى كمال أتاتورك[1] فترة «١٨٨١م - ١٩٣٨م» ببناء دولة علمانية وإلحاق تركيا بالمجتمع الأوروبي فقام بإغلاق المدارس الإسلامية ومنع ارتداء الحجاب أو أي رموز أخرى فيها إشارة إلى الدين الإسلامي وألغى اللغة العربية وأوقف العمل بالتقويم الهجري واستبدله بالميلادي، كما تأثر الشاه رضاخان[2] الذي حكم إيران من عام «١٩٢٥م - ١٩٤١م» والذي قام بمنع الحجاب، وهكذا نجحت المحاولات في إدخال الفكر العلماني الإلحادي إلى بلاد المسلمين، ولقد ظلت الشيوعية قرابة سبعين عام في قوة وطغيان حتى أذنَ الله بزوال قوتها، بعد أن فشلت في منح الإنسان النجاح والسعادة، ففي عام ١٩٨٩

١ - مصطفى أتاتورك: قائد الحركة التركية الوطنية في أعقاب الحرب العالمية الأولى عاش فترة (م١٨٨١ - ١٩٣٨م)، وأسس جمهورية تركيا الحديثة، فألغى الخلافة الإسلامية وأعلن علمانية الدولة.

٢ - رضا خان بهلوي: عاش فترة (١٨٧٨م - ١٩٤٤م)، تميز حكمه بالشمولية (الدكتاتورية)، كان في صراع دائم مع المرجعيات الشيعية (رجال الدين)، خصوصاً عندما أصدر توجيهات مناهضة لوجود الحجاب في المجال العام، وسط غضب ديني وشعبي، حتى وصل الأمر إلى إطلاق النار على مظاهرة سلمية مناهضة لفرض الزي الغربي في مدينة مشهد.

ثأرت الشعوب واقتصوا من الظالمين واكتشفوا أن هذا المذهب فاشل باطل لا يجر إلى خير، وإذا بالشعوب المقهورة تعلن رفضها للفكر المادي الإلحادي وأطاحوا بالدول الشيوعية في مناطق مختلفة[١].

٦ – عصر الإلحاد الجديد والمعاصر

يتميز الإلحاد الجديد «New Atheism»[٢] عن الإلحاد التأريخي القديم الذي كان مقتصراً على نخبة من الفلاسفة ولم يكن منتشراً على نطاق واسع بين عامة الناس، إنه يتجاهل الفلسفة ويركز على أطروحات العلم الطبيعي، فالإلحاد الجديد يعتبر من العوامل الأساسية التي ضعفت الدين في الغرب، وذلك بتبنيه عدة مفاهيم منها نشأت الكون تلقائياً نتيجة لأحداث عشوائية دون الحاجة إلى صانع، وإن ظهور الحياة كان ذاتياً من المادة عن طريق قوانين الطبيعة، وإنَّ التطور العلمي الذي بلغه العصر الحديث قد وصل إلى أعلى مستوياته وبالتالي فليس هناك حاجة إلى القول بوجود إله كما أنه لاحاجة للدين، فالدين عند الماديين العصريين نقيض للعلم ولهم سعي حثيث لإزالته، باعتبار أن أوروبا لم تتقدم وتمتلك القوى المادية وتكتشف أسرار الحياة إلّا

---

١ – انظر (غالب بن علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة، ج١، ص١٠٦٣)، وانظر (احمد خالد، الطحان، العتاد في مواجهة الإلحاد، ص٤٨). وانظر: (عبد العزيز، المحمدي، الإلحاد في العصر الحاضر، ص٦٠ – ٦٥).

٢ – قد استخدم هذا الاصطلاح في عام ٢٠٠٦ لأول مرة في "مجلة شبكة المعلومات" وهي مجلة أمريكية شهيرة، وقد لاقت الكتب التي تناولت هذا المفهوم رواجاً كبيراً، حيث تهاجم هذه الكتب جميع الديانات السماوية. راجع (عمرو شريف، مصدر سابق، ص٣١).

بعد أن تركت أفكار الكنيسة وعقائدها[1]، كما أنَّ شيوع الفلسفات التي ترفض الميتافيزيقية «ماوراء الطبيعة» كانت من خلال طرح مفاهيم كالفلسفة الوضعية المنطقية[2]، ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهر الكاتب جورج هوليوك[3]، وتشارلس ساوث، اللذان أصدرا مجلة " The reasoner" [4] وكرسا كتابتهما للطعن بالدين، كما أنكرا وجود الله، ووضع

١ – انظر (عبد العزيز، المحمدي، الإلحاد في العصر الحاضر، ص١٢٥).

٢ – الفلسفة الوضعية المنطقية: طرحها الفيلسوف الإنكليزي ألفريد أير، وهو اتجاه في الفلسفة العلمية ظهر في القرن العشرين، والأسس التي تقوم عليها هي مبدأ التثبيت الذي يرى أن قبول أي مسألة يتوقف على إثباتها أو نفيها عملياً بالتجربة أو رياضياً أو منطقياً، ومن ثم فلا معنى لأي افتراض تقع خارج نطاق العلم التجريبي أو المنطق المباشر ونبذ جميع قضايا الميتافيزيقا واللاهوت بوصفها ثرثرة لفظية فارغة وتضييق نطاق الفلسفة بقصر مهمتها على ربط اللغة بالتجربة ربطاً علمياً وصياغة الواقع الخارجي صياغة منطقية باستخدام أسلوب التحليل المنطقي. راجع (د.عمرو شريف، خرافة الإلحاد، ص٢٩).

٣ – جورج يعقوب هوليوك: – عاش فترة (١٨١٧ – ١٩٠٦م) كاتب إنكليزي ولد في برمنغهام، انكلترا، وهو أول من صاغ مصطلح العلمانية كمصطلح ذي مدلول محدد، وذلك في منتصف القرن التاسع عشر، وبالضبط سنة ١٨٥١، وقد لخص محدداتها في العلم كدليل حقيقي للإنسان، والقيم كمصدر دنيوي وأرضي لاديني، والبرهان المنطقي كسلطة وحيدة، وحرية الفكر والرأي كأساس للعيش لتوجه وتصوب جهودنا للحياة التي نعيشها فقط. راجع«مقالة عمر شبانة، العلمانية في بريطانيا فلاسفة ومثقفون أنجزوا بنيتها الأساسية) و(مقالة ريتا فرج، دليلك إلى العلمانية).

٤ - the reasoner: مجلة بريطانية أسبوعية ومعناها (المفكر)، أصدرها جورج هوليوك، لندن، عام ١٨٤٩م، الطبعة ٦.

كذلك راجع Holyoake، G.J. (1896). “Origin and Nature of Secularism”، London Watts & Co.، p.50

هذان المفكران أُسس الوجودية، والعلمانية، والاشتراكية، التي راجت حتى أصبحت تيارات فكرية واسعة أعتنقتها أوروبا بأجمعها ثم امتدت إلى كافة بلدان العالم ومنها البلدان الإسلامية، حيث تحاشا هذان المفكران كلمة الكفر والإلحاد والمادية وأطلقا على فلسفتهما اسم العلمانية لكي ينجحوا في تضليل الناس وإيقاعهم في حبائل فكرهما[١]، وكذلك أن من كبار ملحدين القرن العشرين والعصر الحاضر هو الفيلسوف (أنتوني فلو)[٢]، فقد تزعم الإلحاد لما يزيد عن نصف قرن، واشتهر بكتاباته في فلسفة الأديان وألف العديد من الكتب التي تدحض فكرة الإله، فلقد عَرَضَ الفكر الإلحادي بأسلوب عميق حيث طرح حججاً جديدة ضد الإيمان بالله ورسم طريق للفلاسفة الذين عارضوا الدين والإيمان طوال النصف الثاني من القرن العشرين، وكان معادياً بشكل خاص للإسلام. ومن الملاحدة الجدد أيضاً ريتشارد دوكنز[٣]، كبير

١ – انظر (محمد نبيل، نشواتي، الإسلام يتصدى للغرب الملحد، ص٤٤).

٢ – أنتوني فلو: فيلسوف بريطاني ملحد بارز، عاش فترة (١٩٢٣م – ٢٠١٠م). راجع (د.عمرو شريف، رحلة عقل، ص١٣).

٣ – ريتشارد دوكنز: ملحد بريطاني ولد في نيروبي بكينيا عام ١٩٤١م، حيث كان والده يعمل هناك، يعيش الآن في أوكسفورد اشتهر من خلال كتابه "الجين الأناني" الذي صدر عام ١٩٧٦م، مجادلاً فيه بأن البشر ليس سوى آلات تسخّرها الجينات لمصلحتها الذاتية، وعرض فيه مفهوم للتطور من خلال دور الجينات، وفي عام ٢٠٠٦م، أصدر أشهر كتبه "وهم الإله" الذي ينكر فيه وجود أي قوى غيبية وينظر إلى الإيمان بالله بأنه من الضلالات والأوهام. انظر (خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص٣٣).

ملحدي العصر الحالي، وكذلك كريستوفر هتشنز[1]، الذي أشتهر بكتابِه "الإله ليس عظيما"، الصادرعام ٢٠٠٧م، ثم دانيل دينيت[2]، الذي يصف نفسه بأنه فيلسوف ليس له إله، وتظهر ميوله الإلحادية بوضوح في كتاباته ومؤلفاته، وإنَّ الدين من وجهة نظره قوة خطيرة تحتاج إلى دراسة علمية من أجل التحكم فيها والسيطرة على شرورها. ثم الملحد سام هاريس[3]، المتخصص في علوم المخ والأعصاب وصاحب كتاب «نهاية الإيمان». وكذلك لمع في السنوات الأخيرة – والذي يعتبرمن أبرز علماء الفيزياء النظرية على مستوى العالم – هو ستيفن هوكنك[4]، فلقد أعلن في آخر كتبه "التصميم العظيم" «أنَّ الفيزياء الحديثة تنفي وجود خالق وأنه لم يعد هناك

---

١ – كريستوفر هيتشنز: كاتب وصحفي ملحد أنكليزي – أمريكي، عاش فترة (١٩٤٩م – ٢٠١١م)، مشهور بإلحاده ونقده للأديان. راجع (Christopher Hitchens and his Critics، ص٢٦٤)

٢ – دانيل دينيت: هو فيلسوف ملحد أمريكي، مواليد ١٩٤٢م، اهتم بالبحث في فلسفة العقل، وفلسفة العلوم، وفلسفة علم الأحياء. راجع (د.عمرو شريف، مصدر سابق، ص٣٣).

٣ – سام هاريس: مؤلف وفيلسوف ملحد ومفكر وعالم أعصاب أمريكي، ولد عام ١٩٦٧م، يهودي الأصل. راجع (عباس موسى الكعبي، سام هاريس، الكاتب الغامض سام هاريس، الحوار المتمدن العدد٣٦٢٢).

٤ – ستيفن هوكنك: هو عالم الفيزياء الملحد البريطاني الجنسية، ولد عام ١٩٤٢م، درس في جامعة أوكسفورد وحصل على درجة الشرف الأولى في الفيزياء، مشهور بأبحاثه في العلاقة بين الثقوب السوداء والديناميكية الحرارية. راجع (د.عمرو شريف، مصدر سابق، ص٣٣).

مجال للقول بوجود إله»[1]، ثم الملحد فيكتور ستينجر[2]، الذي خرج بكتاب «الله الفرضية الباطلة» عام ٢٠٠٧م، والذي يسعى فيه لإظهار أن التطور والتقدم العلمي الحديث قد أثبت بشكل قاطع أن الله غير موجود، وآخر كتاب له «الله والذرة» الذي أصدره عام ٢٠١٣[3].

وهناك مصطلحات لا بدَّ من بيانها وتحديد معانيها لما لها من تأثير كبير على مسار المصطلح المبحوث عنه وهو الإلحاد ومن هذه المصطلحات:

١ – الملحد «Atheist»: «هو المنكر للدين ولوجود الإله أو أي شيء خارج قوانين الطبيعة»[4].

٢ – اللاديني «Nontheism»: «هو تيار فكري يرفض مرجعية الدين في حياة الإنسان فهو لايؤمن بدين وهو المنكر للأديان عامة، لكن ليس بالضروري أن يكون منكراً للألوهية. ولذا يعبر عنها البعض بأنها إلحاد ضعيف»[5].

٣ – اللاأدرية «Agonisticism»: «هو الذي يؤمن بأن قضايا الألوهية

---

١ – عمرو شريف، رحلة عقل، ص٣٩.

٢ – فيكتور جون شتينجر: فيلسوف وكاتب وملحد أمريكي مختص في فيزياء الجسيمات، عاش فترة (١٩٣٥م – ٢٠١٤م)، ويرتبط شتينجر بالإلحاد الجديد وهو كاتب للأدبيات العلمية أيضاً، ونشر اثني عشر كتاباً عن الفيزياء وميكانيك الكم، وعلم الكون، والفلسفة، والدين، والإلحاد، والعلوم الزائفة. راجع (مجموعة الصفاة الإعلامية، معلومات عالِم، http://alarb.com).

٣ – انظر (د.هشام عزمي، الإلحاد للمبتدئين، ص٢٠ – ٢٣).

٤ – مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، ص٨٤.

٥ – د.عمرو شريف، خرافة الإلحاد، ص٢٧.

والغيب لايمكن إثباتها وإقامة الحجة عليها، كما لا يمكن نفيها، باعتبارها فوق قدرة العقل على الإدراك، فاللاأدري ينظر للأديان باعتبارها فلسفات بشرية قد ساهمت فى التطور الإنساني فى مرحلة من المراحل الإنسانية ولكن قد تم تجاوز هذه المرحلة وأصبحت الإنسانية أكثر رقيّاً ونضجاً بحيث أصبحت لا تحتاج لأديان تحدد لها ما هو جيد وما هو سيئ»[١].

٤ – المتشكك «Skeptical»: «هو الذي يرى أن براهين الألوهية لا تكفي لإقناعه وفي نفس الوقت لا يمكنه تجاهلها»[٢].

٤ – الربوبية: هي تعريب لكلمة بالإنجليزية: Deismوالمشتقة من الكلمة اللاتينية رب(Deus) ، وهي «مذهب فكري لا ديني وفلسفة تؤمن بوجود خالق عظيم خلق الكون وبأن هذه الحقيقة يمكن الوصول إليها باستخدام العقل ومراقبة العالم الطبيعي وحده دون الحاجة إلى أي دين. معظم الربوبيون يميلون إلى رفض فكرة التدخل الإلهي في الشؤون الإنسانية كالمعجزات والوحي. والربوبية تختلف في إيمانها بالإله عن المسيحية واليهودية والإسلام وباقي الديانات التي تستند على المعجزات والوحي، ويأكدون على أن الله أو "الإله" أو "المهندس العظيم الذي بنى الكون" لا يتدخل بأي شكل من الاشكال في عمل الطبيعة، ويسمح لها بالعمل وفق قوانين الطبيعة التي كونها عندما خلق كل شيء، وأن الكون يسير بناء على قوانين علمية دقيقة دون

---

١ – د.هشام عزمي، مصدر سابق، ص١٩.

٢ – د.عمرو شريف، وهم الإلحاد، ص٢٨.

تدخل إلهي»[1].

٦ – العلماني «Secularism»: «وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية، والعلمانية دعوة إلى إقامة الحياة على العلم المادي والعقل، وعدم تدخل الدين في أمور الحياة العامة فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها، بعيداً عن أوامر الدين ونواهيه»[2].

وبذلك نكون قد مررنا على المسيرة التأريخية للإلحاد إجمالاً، وبشكل مختصر، وإلّا فالدخول في التفصيلات أكثر مما لا يسعه المجال في هذا التحقيق، وبهذه النبذة التأريخية نستنتج أن النزعة الشكية الإلحادية وإنكار أساسيات الدين لم تكن مشكلة علمية بقدر ماهي مشكلة نفسية قد اشتركت فيها عوامل متعددة وأهمها الموقف العدائي من الدين والكنيسة، حيث نجد أن مؤهلات الإلحاد كلها قائمة في أوروبا منذ النهضة الأوروبية إلى اليوم الحاضر وذلك بسبب الكنيسة وممارساتها وطغيانها على مدار أكثر من ثمانية قرون، وتحريفهم للنصرانية وإدخالهم في دين الله كثير من البدع والخرافات والعقائد الباطلة التي لم يستطع الناس استيعابها لما فيها من خلط واضطراب، بالإضافة إلى الطغيان الروحي والفكري والعقلي والعلمي على الناس مما أدى إلى أن يُهاجم الدين، ويُستبدل بالعلم ويُجعل بديلاً من الدين، حتى اغتروا بالاكتشافات والنظريات

---

١ – د.عمرو شريف، خرافة الإلحاد، ص٢٨.

٢ – محمد شاكر الشريف، العلمانية وثمارها الخبيثة، ص٤.

العلمية الهائلة، وساروا وراء العلم، وصحب ذلك في الوقت نفسه كراهة للدين ونفور منه، بل في حقيقته هو عداء بين العلم الذي استطاع أن يدعم ماتوصل إليه بالبراهين والأدلة وأن يثبت خطأ رجال الدين ومعتقداتهم والكنيسة التي عجزت عن الدفاع عما تعتقده من آراء خرافية، وكأن المفكرين والفلاسفة سَّخروا هذا العلم والفلسفات للنفور من الله وإنكار وجوده، ومحاولة إبعاد الدين تماماً عن جميع مجالات الحياة، وعلى العكس من ذلك لم يكن الإلحاد ظاهرة في تاريخ الحضارة الإسلامية بل لا نلمح له وجود حقيقي لأنَّ الدين الإسلامي لم يقطع على المسلم التأمل واستخدام العقل والعلم، وإنما هي عوامل عديدة اشتركت في انتشارها في البلدان الإسلامية أولها الانفتاح الإقليمي والتأثر بالحضارات والأفكار غير الإسلامية، ومن ثم الأيادي اليهودية والصهيونية ودورها في هذا التاريخ الإلحادي والمتميز خصوصاً في الثورة الشيوعية، وهذا ماسنتعرض له في الفصل الثاني ببيان أسباب انتشار الإلحاد في المجتمعات الإسلامية، فالصهيونية والشيوعية وجهان لعملة واحدة فكان غرضهم من خلال وضع الفلسفة الشيوعية خلق نظام عالمي جديد يسيطرون من خلاله على العالم، ورغم إنتهاء الشيوعية، إلّا أن ظاهرة الإلحاد عادت اليوم بثوب جديد وأنها لم تعد على مستوى ضيق ومحدود بل نلاحظ أن لها وجود شعبي وقاعدة عريضة في كثير من الأمم ودول العالم، ومنها الدول الإسلامية.

الفصل الثاني
عوامل انتشار ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية

المبحث الأول: العامل العسكري.

المبحث الثاني: العامل الفكري.

المبحث الثالث: العامل السياسي.

المبحث الرابع: العامل الثقافي.

المبحث الخامس: العوامل النفسية والاجتماعية.

تمهيد

تظهر أهمية التعرف على أسباب الإلحاد في توصيف الحالة الإلحادية وتشخيصها بدقة وموضوعية مع معرفة نقاط الضعف التي يتسلل منها الإلحاد إلى مجتمعاتنا الإسلامية، حيث إن معرفة هذه الأسباب والدوافع المتعددة وراء الإلحاد تساعد كثيراً في سد الثغور وإصلاح العيوب ورتقها، ثم تحديد العلاج بشكل سليم، فلقد تكاتفت دول الغرب للنيل من الإسلام والحد من مَده فوجدوا أن افضل وسيلة هي إضعاف روح الإسلام وتشويهه وتجريده من مضمونه وجوهره وإدخال الأفكار المادية في صفوفه، في الوقت الذي كان من المفروض أن تبقى شعوب الأمة الإسلامية منيعة محصنة لاتسمح بتسلل ضلالات المذاهب الفكرية إليها، لأن الإسلام هو الدين الرباني الحق الذي لم يدخله تحريف ولاتبديل ويهيمن على العقول والأفكار والنفوس ببراهينه الحقة وملاءمته للفطرة الإنسانية، وجاء بنظم متكاملة توفر للبشرية الرفاهية والتقدم العلمي والحضاري، ولكي نكون على بينة من أمر هذه الحركات رأينا أن نعرض هذه الأسباب لكي نتمكن من درء الخطر الذي يتهدد أمتنا وديننا ومستقبل الأجيال فيها.

المبحث الأول:

العامل العسكري

في هذا المبحث سنناقش الأمور والعوامل العسكرية التي ساعدت ومهدت للإلحاد في المجتمعات الإسلامية، فعند الرجوع إلى الوقائع والظروف التأريخية نجد أن العالم الإسلامي قد وقع فريسة للغزو النصراني الغربي الذي بدأ بالوجود المادي العسكري متمثلاً بالحملات الصليبية، ثم الاحتلال والاستعمار الذي ظهر بعد الحرب العالمية الأولى في منتصف القرن الخامس عشر واحتلال مناطق واسعة من العالم تشمل البلدان الإسلامية مع بيان آثار ذلك كله على الشعوب الإسلامية.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين حاولوا أن يصوروا هذه الحروب على أنها حروب استعمارية بحتة تهدف إلى السيطرة الاقتصادية فقط، إلّا أن أكثر المؤرخين يرفضون هذا المبدأ فاعتماداً على الواقع والآثار تَبَيَّنَ أنها كانت حروب دينية هدفها الثأر من الإسلام والمسلمين والنيل من عقيدتهم، لأن هذا الغزو كان عنيفاً مليئاً بروح التعصب والانتقام.

١ – الحروب الصليبية

إن الحروب الصليبية تعتبر الخطوة الأولى للغرب الأوروبي في قطع علاقاته مع العالم الإسلامي وذلك بالإعداد والعمل ضده وهذا ما تشير إليه حوادث التأريخ، فالحروب الصليبية الاستعمارية كانت خطتها تقوم على هدف القضاء على الإسلام ولكن بواسطة احتلال أراضيه احتلالاً مباشراً، والمستشرق «كيمون» الذي كان يفكر بعقلية الحروب الصليبية يضع للعالم

الغربي خطة لتدمير الإسلام يقول فيها: «أعتقد أنه من الواجب إبادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر"[1]، فلقد كانت هذه الحروب صراع بين حضارتين وعقليتين مختلفتين مما تطلب منهم تخطيط محكم وعلى أمد بعيد للتمكن من السيطرة على البلدان الإسلامية فكرياً ودينياً، ومما تجدر إليه الإشارة إلى أن الصليبية التي تهيمن على الأوروبين والغربيين شيء آخر يغاير تماماً تعاليم النبي عيسى(عليه السلام) أتم المغايرة، وإن كان جمهور القساوسة والرهبان يماري في هذه الحقيقة حيث ينسب هذا الدين المحرف إلى عيسى نفسه، إلّا أن لهذه الصليبية الغالبة خواص لا بدَّ من كشفها منها أنها انسجمت مع طبائع الغربين الذين اعتنقوها وأرخت العنان لما يكمن فيها من قسوة، فلقد نقضت الإحساس بمعنى الجريمة وعقباها السيئة، وذلك اعتماداً على نظرية الفداء[2] وما تضمنته من أن قتل عيسى هو كفارة لخطايا بني آدم، وهكذا جعلت الألوف المؤلفة من مصديقيها يستهينون بالآثام ويقدِمون عليها وهم آملون أن تُحمل عنهم، وهذه العقيدة كانت سبب مصائب كبيرة حلت بالأمم المهزومة، ثم إن هذه الصليبية كانت تعاني كما يسميه علماء

---

١ – جلال العالم، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، ص٤٦.

٢ – نظرية الفداء: هي نظريه الاستعاضة عن العقوبات، وترى هذه النظرية أن عمل المسيح الكفاري على الصليب كان عمل تعويضي عن التضحيات التي تطلبتها عدالة الله عن الخطيئة، وقد دفع المسيح عقوبة خطيئة الإنسان مما نتج عن المغفرة والمصالحة مع الله، راجع (هاني مينا ميخائيل، أقوال الآباء الشرقين والغربين عن الفداء والكفارة، ص١٠).

النفس من «عقدة الضعة»، وهذا يفسر سياسة البطش الشنيع الذي اتبعتها الصليبية ضد غيرها بل التي اتبعتها ضد الإسلام خاصة[1].

لذا تعتبر هذه المرحلة ألا وهي الحروب الصليبية ممهدة للانحرافات الفكرية في بلاد المسلمين التي كانت تعاني في ذلك الوقت من التجزؤ والضعف والانقسامات، وكان هذا من أخطر وأهم الأسباب التي أطمعت أعدائهم فيهم فوجهوا لهم جيوش القتال والفتنة والإفساد للسيطرة عليهم وسلبهم ذاتيتهم القائمة على الإسلام إيماناً وعملاً، حيث كان الاستعمار الاستيطاني هو أبرز أهداف هذه الحروب، وحين تحقق هذا الهدف فرضت آثاره السلبية نتائجها على العالم الإسلام وبلاد المسلمين والعمل على سحقها، كما أنها أفرزت آثاراً اجتماعية وفكرية كثيرة والتي استمر بعضها إلى الوقت الحاضر، فإن هذه الحروب الطويلة المرهقة، كانت مثل أية حروب أخرى من حيث تأثيراتها السلبية على المجتمع الذي يخوض أبناؤه غمار هذه الحرب فالتأثير الذي تركته الحروب الصليبية على مُثل المجتمع الإسلامي وأخلاقياته كبير فلقد كان هذا الغزو شرساً عند احتلاله للبلدان الإسلامية والأماكن المقدسة، وما قام به من حط وحرق للمصاحف وفرض لمفاهيم المسيحية المحرفة، فمدة قرنين كان فيه الكثير من المردود في التأثير والسيطرة على العقول والأفهام، كما أدت هذه الحروب إلى اختلال في القوى الاجتماعية في بعض المناطق مما تحول المسلمون إلى أقليات جراء المذابح الصليبية التي نجمت فأدى إلى أن

---

١ – انظر (محمد الغزالي، الاستعمار أحقاد وأطماع، ص١٨ – ٢٠).

بعض المسلمين آثروا أن يرتدوا عن دينهم خوفاً على حياتهم، إلّا أنه بعد انتهاء حقبة الحروب الصليبية التي دامت قرابة قرنين على شكل ثمان حملات[١] عسكرية ودموية ضارية وفي أوقات وأزمان متفرقة على بلاد المسلمين، خطط الغرب المسيحي باستبدال الحرب المسلحة بالحرب الفكرية لتضعيف المجتمعات الإسلامية والنيل منها ومن عقيدتها وفكرها[٢].

٢ – الاستعمار الحديث

الاستعمار هو مصطلح يشير إلى ظاهرة سياسية، اجتماعية وثقافية تشمل إقامة مستوطنات أوروبية خارج أوروبا فهو سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نُفوذها من أجل استغلال خيرات الدول المستضعفة، وتسمى الأراضي الواقعة تحت الاحتلال بالبلاد المستعمَرة. فخلال قرنين ونصف أي منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تمكن الاستعمار الغربي من السيطرة على المسلمين في وسط آسيا وشرقيها، واتخذ له نقطة ارتكاز رئيسة في أفريقيا، كما تمكن من نفوذه إلى

---

١ – هناك حملات صليبية أخرى، لكنها لم تتخذ طابعا رئيسياً أو أساسياً، فكانت عبارة عن حملات صغرى، مثل الحملة على الهراطقة ١٢٠٩م، والحملة على الإسكندرية ١٣٦٥م، وحملة نيقيا ١٣٩٦م راجع (رائد سوسي، ماهي مراحل الحروب الصليبية، موقع موضوع الألكتروني http://mawdoo٣.com).

٢ – انظر (قاسم عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص١٧٤ – ١٧٥)، وانظر (صابر طعيمة، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، ص١٦ – ٣٠)، وانظر(علي محمد جريشة، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص١٥ – ص١٨)، وانظر (د.راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، ص٦٠ – ٦٣).

قلب العالم الإسلامي، وبذلك طوق العالم الإسلامي من الشرق والغرب، وسلط دسائسه على بقية المجتمعات الإسلامية الأخرى بين هذين الطرفين، فوهنت هذه التجمعات وانحل عقدها، وسقط بعضها إثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي، وما جاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها حتى أصبح العالم الإسلامي كله تحت نفوذ هذا المستعمر.

إن أهداف الاستعمار كثيرة منها سياسي ومنها اقتصادي والذي يتمثل في حاجة الدول القوية إلى المواد الأولية الموجودة في الدول الضعيفة، وخاصة دول العالم الثالث فهذه الدول غنيةٌ بالمواد الأولية الأساسية الداخلة في الصناعات المهمة، كالغاز الطبيعي والنفط، إضافة إلى حاجة الدول الكبرى إلى الأيدي العاملة الموجودة في الدول المستَعمَرة للعمل في أراضيها ومصانِعها بأجورٍ رخيصة، وقد جعلت الدول المسَتعمِرة من الدول المستَعمَرة أسواقاً خارجية لتسويق وتصدير الفائض من منتوجها، إلّا أن الهدف الديني والثقافي يعتبر من أخطر أهداف الاستعمار، والذي يؤدي إلى تدمير ثقافات وعادات وتقاليد الدول المستعمَرة وكذلك التأثير في لغتها، ولم يعمل الاستعمار الحديث ضد العالم الإسلامي منفرداً وإنما اعتمد على الاستشراق من جانب وعلى التنصير من جانب آخر، وقام هو بجهوده الخاصة من جانب ثالث، فكانت للاستعمار مؤتمراته وندواته وأجهزته ورجاله وأعوانه، حيث عمل المستعمرون في البلاد التي احتلوها على القضاء على اللغات الوطنية، وخصوا العربية بمزيد من حربهم وعند البحث في هذا الهدف نجدُ أن لُغة المستعمر تصبحُ اللغة الرئيسة في هذه البلاد، فكانت سياستهم تحطيم كرامة الشعوب

وتدمير تُراثها الحضاري والثقافي، وكذلك فرض ثقافة الدولة المسُتعَمِرة. وخلال تاريخ الحركة الاستعمارية الغربية للعالم الإسلامي وبقية المستعمرات أظهر المستعمر الغربي صوراً قاتمة ملؤها الظلم والقهر والاستغلال فعلى الصعيد الإنساني ارتكب المستعمرون مجازر بحق الشعوب التي قامت تدافع عن دينها وخيراتها، فقد بلغت أعداد قتلى المسلمين في الهند حتى عام ١٨٨٠م مليون مسلم سقطوا على يد الإنكليز، ومثله كانت الجزائر بلد المليون شهيد وهكذا باقي الدول الأخرى.[١]

فقد كان محاربة الإسلام هدفاً أساسيا للمستعمر، حيث التقت الطبيعتان طبيعة الغربين الهمجية وطبيعة الصليبية في الغزو الاستعماري للبلدان الإسلامية ومن صوره ما ذكره الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانسون[٢] فقالا: «لعل العبث بالدين الإسلامي كان هو المجال المفضل لدى القائد الفرنسي روفيغو[٣] في الجزائر »، كما قام الاستعمار البريطاني باصطناع

---

١ – انظر (منقذ بن محمود السقار، الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، ص٣ – ٢٨)، وانظر (محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص١٧ – ٢٤)، وانظر (سمرحسن سليمان، مقالة مفهوم الاستعمار، http://mawdoo.com).

٢ – فرانسيس جانسون: فيلسوف فرنسي وكاتباً، عاش فترة (١٩٢٢م – ٢٠٠٩م)، كان مديراً لمجلة الأزمنة الحديثة، كان أول فرنسي عارض سياسة بلاده العدوانية في الجزائر، ألَّف كتاباً بعنوان الجزائر الخارجة عن القانون. (راجع http://www.france24.com)

٣ – الجنرال دو روفيغو: القائد الأعلى للقوات الفرنسية، الذي كان تحت إمرة قائد الحملة الفرنسية الاستعمارية "دوبونياك"، تولى أمور الجزائر ما بين (١٨٣١م – ١٨٣٣م)، وقبل أن يصبح قائداً عاماً، كان وزيراً سابقاً للشرطة، تميزت شخصيته بالقسوة والظلم، وعرفت الجزائر على عهده مرحلة تميزت

وإنشاء فرق باطلة في صفوف المسلمين تحمل في الظاهر اسم الإسلام وتعمل في الحقيقة على هدم أصوله وقواعده، وتقطيع أوصاله، وإبعاد المسلمين عن جوهره، ومنها الحركة القاديانية[1] التي نشأت في الهند والتي تخدم مصالح المستعمرين تحت ستار ديني، حيث قاموا بنشاط كبير في مجال طبع الكتب التي تثير الشبهات حول العقائد الإسلامية وتضليل أبناء المسلمين ومحاولة إبعادهم عن الإسلام الحق[2].

بسفك دماء الأبرياء والقتل الجماعي، وقد ارتبط اسمه كسفاح، حيث أمر بإخراج جميع المصاحف الموجودة في مسجد كتشاوة في الجزائر إلى ساحة الماعز المجاورة التي صارت تحمل فيما بعد اسم ساحة الشهداء، وأحرقها عن آخرها، فكان منظراً أشبه بمنظر إحراق هولاكو للكتب في بغداد عندما اجتاحها. وقد قام روفيغو بعد ذلك بتحويل الجامع إلى إسطبل. راجع (الموقع العربي العملاق، باب المقال، الجزائر في قبضة التنصير، http://web.archive.org).

١ – القاديانية: – هي دين مُخْتَرَعٌ حظي بمباركة ورعاية الاحتلال الإنجليزي، نشأت عام ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار بقاديان، إحدى قرى البنجاب الهندية، المؤسس هو ميرزا غلام أحمد القادياني عاش فترة (١٨٣٩م – ١٩٠٨م) بقاديان، كان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن وخدموا الاستعمار. ادعى ميرزا أنه مجدد ومُلْهَم من الله وادعى أنه يوحى إليه، وكتب قرآناً لنفسه سماه "الكتاب المبين"، يعتقدون أن الله يصوم ويصلي وينام ويخطي – تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً – وأن النبوة لم تختم بمحمد، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء، وأن لهم كتاب منزل غير القرآن، ويبيحون الخمر وينادون بإلغاء الجهاد، ووجوب الطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية التي كانت تحتل الهند آنذاك، لأنها – وفق زعمهم – ولي أمر المسلمين، وكل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية كما أن من تزوج أو زوَّج لغير القاديانيين فهو كافر. راجع (د.مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص٤١٦ – ٤٢٠).

٢ – انظر (عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص٢٨٢ – ٢٨٦).

وبذلك تولى الاستعمار البلاد الإسلامية مع تنفيذ برنامج كامل في مجال التربية والتعليم والثقافة والصحافة يهدف إلى قتل مصادر القوة في المجتمع والأسرة وتمزيق القوى المعنوية وبث روح من الإلحاد والإباحة والتشكيك والانحلال في القوى الشابة، فأسسوا المدارس والجامعات ووضعوا سياستها وخططها ومناهجها وكتبها وطبيعي أن تكون هذه المؤسسات التعليمية بيئة مناسبة جداً لنشر الأفكار الباطلة والشك في مبادئ الإسلام وأحكامه وشرائعه، كما أعلنوا حرباً على التعليم الإسلامي الخاص الذي كانت تقدمه مكاتب تحفيظ القرآن، وحرموا المسلمين من الوظائف الحكومية ومن أراد أن يتولى منصباً فيجب أن يرتد عن دينه، هذا ما تركه الاستعمار العاتي في نفوس المسلمين فالنفوس ليس سواء بإزاء الضغط الذي يعرض لها فإن هناك من يضعف عن التحمل فمنهم من أصابه الوهن ورأى الابتعاد عن الإسلام سواء ظاهراً أو باطناً أسلم طريقة، وقد باعت أسر شتى إيمانها حتى ينال أبناؤها بعض الوظائف، وبذلك تكون هذه الحروب التي كان هدفها القضاء على الإسلام قد بلغت مرادها.[١]

المبحث الثاني:

العامل الفكري

يعتبر الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري بل يفوقه عشرات المراحل وذلك لأنه عميق التأثير في الشعوب إذ يمتد تأثيره عشرات بل مئات

١ – انظر (محمد الغزالي، الاستعمار أحقاد وأطماع، ص٣٠ – ٤٠).

السنين، فالغزو الفكري هو كل عمل وخطة وتغيير وتشويه يقوم به أعداء الإسلام والمسلمين في الفكر أو الثقافة أو المبدأ أو السلوك والتقاليد أو المنهج والشريعة أو الأدب والفن أو الزي والشكل، فهو معركة ضد أصل الإسلام وجذره ألا وهو القرآن الكريم والسنة الشريفة واللغة العربية، والتأريخ الإسلامي والتراث الإسلامي وإقصائهما عن اللسنة المسلمين وقلوبهم وحياتهم، فهو ضد النظام الإسلامي برمته، لذلك أصبح الغزو الفكري للإسلام والمسلمين يستهدف الجذور لا القشور ويحاول القضاء على الجوهر، كما ان الغزو الفكري أقل تكلفة من الغزو العسكري الذي يكلف الكثير من الطاقات والدماء، وقد اتخذت الحرب الفكرية طرقاً وأساليب عديدة أهمها التنصير والاستشراق والعلمانية والاشتراكية والقومية والديمقراطية وفلسفة التطور واللادينية وغيرها من المسميات والشعارات والنظريات التي تدخل ضمن الغزو الفكري، والشبهات التي يبثوها لتشويه الإسلام في المجتمعات الإسلامية، وما تنطوي عليه هذه الدعوة من أضرار وخيمة، فهي تعزل الفرد وتبالغ فى حريته وإرادته حتى تكاد تلغي أي سلطان آخر على الفرد من دين، نظام، عادات، أعراف وتقاليد.

وسنحاول في عُجالة إلقاء الضوء على بعض أنماطها:

١ – التنصير

التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين دول مختلفة بصورة عامة، وبين المسلمين خاصة، وبهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب، . فاعتبر الغرب التنصير

أو التبشير عامل مهم في إضعاف العقيدة الإسلامية وخلق تخاذل روحي ومعنوي وشعور بالنقص وتقطيع أواصر الوحدة والإخاء والترابط بين المسلمين وإثارة الفتن والقلاقل في العالم الإسلامي، وإنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الإسلام وإبعاد العناصر الإيجابية عن مراكز التوجيه وأجمعت خطط المنصرين ودراساتهم على أنهاإذا لم تنجح دعوة التنصير في إدخال المسلمين في دين جديد فلا أقل تكون قد أخرجته من الإسلام، وكان هدفهم أيضاً معاونة الاستعمار العالمي، حيث يمتلك هؤلاء المنصرون إمكانيات مالية هائلة تمكنهم من التحركات الواسعة والإنفاق اللامحدود على كل الوسائل التي يستخدمونها. فهم يسيرون وفق خطط منظمة لبلوغ أهدافهم التي يسعون من أجلها ويبذلون كل الجهد ويطرقون كل السبل للوصول إلى أهدافهم المنشودة، ولقد استخدموا مختلف الوسائل لإفساد هذه العقائد، والقضاء على الإسلام في نفوس المسلمين، واستغلوا الفقر والجهل والمرض وضعف هذه الدول أمام الاستعمار فأتوهم عن طريق البِر والطب والإحسان كذريعة للدخول في صفوفهم.

ومن وسائل التنصير تتضمن في:

١ – المدارس المختلفة التي فتحت في أرجاء العالم الإسلامي وتأثيرها على الناشئة والشباب من أبناء المسلمين حيث كانت لها نتائج ايجابية محدودة وذلك أنها بذرت فيهم بذور الشك والانحراف.

٢ – البعثات إلى الدول الغربية وما لها من أثر على عقيدة وعقول الشباب المسلم.

٣ - فتح المستشفيات في العالم العربي والإسلامي وبعث الإرساليات الطبية والتي أدت إلى نتائج أسرع وأفضل حسب مابينه كثير من المنصرين في كتبهم ومؤتمراتهم.

٤ - الصحافة والأعلام، حيث يدرك المنصرون خطورة الأعلام وآثاره القوية في محاربة الأفكار والمعتقدات ولذلك ركزوا على الصحافة واهتموا بأعمال الطبع والنشر والكتب والمجلات والصحف.[١]

ولقد جاء في خطاب المنصر الأمريكي صموئيل زويمر[٢] في المؤتمر المنعقد عام ١٩٣٥م للذين يعملون في التنصير إذ قال: «إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون ماقمتم به خلال الأعوام السالفة خير قيام لقد أعددتم في ديار المسلمين شباباً لا يعرف الصلة بالله

١ - انظر (علي محمد، جريشة، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص٣٠ - ٣٢)

٢ - صمويل مارينوس زويمر، قس أمريكي، وهو رئيس جمعيات التنصير فهو الأخطر والأكثر عنصرية ضد المسلمين، عاش فترة (١٨٦٧م - ١٩٥٢م)، له آثار عدة أمتازت بالتعصب والتضليل الشديدين الأمر الذي أفقدها صدقها العلمي الرصين، كان قد بدأ بالتنصير في البصرة والبحرين، وفي مواقع أخرى في الجزيرة العربية من عام ١٨٩١ حتى ١٩٠٥. وكان عضواً في البعثة السعودية (١٨٩٠ - ١٩١٣). خدم زويمر في مصر في الفترة ١٩١٣ - ١٩٢٩وسافر أيضاً على نطاق واسع إلى آسيا الصغرى، وهكذا تجده يقوم بدوره الميداني ممهّداً ومنظّراً لحركة الاستعمار في الشرق، إن ما وضعه من خطط وبرامج تنصيرية واستعمارية ما يزال العمل بها سارياً حتى اليوم، خصوصاً من خلال مناهج التعليم والتربية والثقافة في أغلب البلاد الإسلامية. راجع (نجيب العقيقي، المستشرقون، ص١٣٨).

ولايريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية»[1]. أي تحطيم الإنسان من الداخل وزعزعته إيمانياً، وهذا هو الهدف بالنسبة للغرب.

كما أنه قال «لاينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عند مايرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية لكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم عندما تذبذب مسلماً وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحاً أيها المبشر»[2].

ويكاد يجمع المنصرون فيما بينهم على أن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا، ويصرح لورانس براون[3] بالهدف الحقيقي للمبشرين من عملهم حين يقول: «إذا أتحد المسلمون في أمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً أو أمكن أن يصبحوا نقمة له أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولاتأثير»[4].

إن التنصير قد وصل إلى غاياته في مهاجمة الإسلام وإن هدفه ليس إخراج

---

١ – أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص١٦١.

٢ – علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص١٣٨.

٣ – لورنس بي براون، كاتب أمريكي وجرَّاح عيون، وهو أيضاً كان وزيراً دينياً، درس اليهودية والمسيحية، لديه دكتوراه في اللاَّهوت، وفلسفة الدّين، كان تركيزه نحو الدّراسات الدينية، والتي أثمرت عن اعتناق الإسلام حيث وجد بغيته فيه باعتباره دين الله الحقّ في ١٩٩٤. وهو مُؤلّف كتابين في الدين المقارن، بعنوان «الوصيَّة الأولى والنّهائية»، و«غودد God'ed»، بالإضافة إلى كتاب الرّواية الأشهر: «اللَّفيفة الثامنة»، التي حازَتْ على جائزة أفضل روايةٍ في الولايات المتَّحدة للعام ٢٠٠٧، راجع Islamhouse.com.

٤ – علي عبد الحليم محمود، نفس المصدر السابق، ص١٣٨.

المسلم من دينه بقدر مايهدف إلى أن يجعله مضطربا في دينه وهذه هي أسنى مراتب الانتقام من الإسلام وأعظم غايات الاستعمار، وقد أشار زويمر إلى الخطة التي يجب تنفيذها وهي إخراج برامج الدراسات والإسلام من برامج التعليم وصرف الناس عن التربية الدينية التي تُقوم أخلاق المسلمين وإقصاءها عن مدارس المسلمين، فالتنصير يضع كل ثقله لاستغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم، ولذلك فهم يُنشِؤون المدارس والمعاهد ورياض الأطفال ليتسلموا فيها أبناء المسلمين ويربوهم التربية التي يريدونها[1].

ويقول في موضع آخر: «ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهل الالتحاق بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب»[2]، وبهذه الأساليب سيُخرج ناشئة مضطربة مادية الأغراض لاتؤمن بعقيدة ولاتعرف حقاً ولا تنكر باطلاً. كما يقول القس الحاقد زويمر في مؤتمر تنصيري آخر: «أن التنصير وصل إلى أساس غايته في مهاجمة الإسلام وأدى المهمة على أكملها وأنتهى إلى نتائج لم يكن أحد يحلم بها منذ الحروب الصليبية، فليس عمل التنصير إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا مسيحين مطلقاً، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة المسيحين على استحالة ذلك

---

١ – انظر (صابر طعيمة، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، ص (١٧١ – ١٧٩).

٢ – أحمد عبدالله، الرفاعي، التنصير يغزو العالم الإسلامي، مجلة البيان، العدد (١٥٣)، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

ولكن الغاية التي نرمي اليها هي إخراج المسلم من الإسلام فقط ليكون إما ملحداً أو مضطرباً في دينه وعندها لا يكون للمسلم من الإسلام إلّا الاسم، فعندما لا يكون مسيحياً ولا يهودياً بل مضطرباً يحتقر الإسلام والمسلمين أو ملحداً لا يؤمن إلّا بالمادة نكون قد حققنا بعض أهدافنا، لقد قضينا على برامج التعليم في الأقطار الإسلامية فأخرجنا منها القرآن وتأريخ الإسلام ومن ثم أخرجنا الشباب المسلم من الوسائط التي توجد فيه العقيدة، والواقع أن القضاء على الإسلام في مدارس المسلمين هو أكبر واسطة للتنصير وقد جنينا منه أعظم الثمار»[1].

بعد الاستعراض السريع لحركة التنصير، يتضح أن اختيار المجتمعات الإسلامية لغرس بذور التنصير والإلحاد كان اختياراً دقيقاً مبنياً على دراسة عميقة لها أسسها النفسية والتربوية والاجتماعية، بالإضافة إلى رأي مؤداه «أن الإلحاد أو التلحيد وليد التنصير»[2]، وهكذا يظهر لنا مدى الخطر الذي يهدد العالم الإسلامي، ومدى الجهد الذي يتوجب على المسلمين القيام به من أجل حماية الإسلام والحفاظ عليه في نفوس المسلمين ولقد حاول أعداء الإسلام أن يغيروا خطتهم بعد أن انكشفت حقيقتها، فقد أحس دعاة النفوذ الأجنبي بأن عمل التنصير المكشوف السافر قد أزعج العالم الإسلامي ولقى مواجهة كبيرة، ومن هنا فكر هؤلاء الأعداء في تغيير سلاح التنصير بسلاح جديد

---

١ – أنور الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، ص٣٦

٢ – جابر قميحة، أثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، ص٥١.

وهو الاستشراق[1].

ومع أن التنصير كان يسير مع الاستشراق جنباً إلى جنب إلّا أن التنصير يسبق الاستشراق حيث أزدهر قبل الاستشراق وبعد أن أنكشفت أبعاده كان ازدهار حركة الاستشراق التي حملت نفس أهداف التنصير مع تغيير في الأسلوب وخطة العمل، فالهدف واحد وهو تسميم وإفساد عقول المسلمين وإبعادهم عن الإسلام، إلّا أن التنصير وجه جهوده إلى عامة المسلمين بينما حاول الاستشراق أن يوجه جهوده إلى المثقفين منه.

٢ – الاستشراق

الاستشراق كان من نتاج الحروب الصليبية وكبديل عن الحروب لتحطيم عقيدة المسلمين وفكرهم كما ذكرنا سابقاً، وذلك بأن يقوم العلماء الأوروبين بدراسة الحضارة الإسلامية والكتابة عن الإسلام، فالمستشرقون هم: «جماعة من علماء الغرب الذين اهتموا بالدراسات الشرقية والإسلامية وتخصصوا بها»[2]، فأفقد بعضهم التعصب أمانة العلم وعمدوا إلى تشويه الإسلام، وأغلب المستشرقين يجمعون بين العمل بالاستشراق والعمل بالتنصير والعمل مع دوائر الاستعمار والنفوذ الأجنبي في آنٍ واحد، فعملهم منظم باتجاه لحماية وتمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد النفوس بين

---

١ – انظر (سعد الدين صالح، أحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص٨٠ – ٨٤).

٢ – عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ص١٨٤.

سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأجنبي، ويقول الأستاذ الدكتور علي النملة[1] «والمعلوم أن المستشرقين ليسوا جميعاً ممن ينتمون إلى النصرانية ديناً، ففيهم المستشرقون اليهود الذين خدموا اليهودية من خلال دراستهم الاستشراقية، كما أن فيهم الملحدين الذين خدموا الإلحاد من خلال اهتمامهم بالمنطقة العربية والإسلامية ومحاولاتهم لنشر الإلحاد في هذه البقاع بديلاً عن الإسلام»[2]، كما أن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه لسمعة المسلمين، فتحولت المعركة من ميدان سلاح إلى معركة في ميدان الفكر والعقيدة بهدف تزييف عقيدة المسلمين والتشكيك في دينهم، وزحزحة عقائدهم والتفرقة بين الدين والدولة، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية، ومما يفتح الطريق إلى تحويل ضعاف العقيدة إلى ملاحدة. كما كان الهدف من هذه الجهود الاستشراقية في العصور المتقدمة هو اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام.

ولقد أنشأت الدول الغربية عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها لخدمة الاستشراق، حتى تسللوا إلى الدوائر والجامعات والمجاميع

١ – علي إبراهيم النملة: مؤلف سعودي عرف بكتاباته عن الاستشراق وتوسعه فيه وله العديد من المؤلفات عن الاستشراق والدراسات الإسلامية والتنصير التي بلغت قرابة أربعين كتابا.وقام بترجمة العديد من كتب المستشرقين الأجانب.

٢ – علي النملة، المستشرقون والتنصير، ص٦.

العلمية في الدول الإسلامية كالقاهرة ودمشق ولبنان والعراق وباقي الأقطار الإسلامية، حيث عين عدد من هؤلاء المستشرقين أعضاء في هذه المجاميع فأفسدوا عقول الناشئة وغرسوا فيها من مبادئ التربية الغربية الشيء الكثير، فشب كثير من المسلمين حاملين الأفكار الغربية في حياتهم وعقائدهم، بالإضافة إلى أنهم أنشأوا كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبا مثل لندن وباريس وبرلين وغيرها وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمون هذه الكليات الأوروبية للدراسة[1] فيها وبذلك تأثر الفكر الإسلامي بما يلقيه المستشرقون في أذهان هؤلاء المبعوثين من أبناء المسلمين[2].

ولاريب ان أخطر آثار المستشرقين هو اعتبار كتبهم وبحوثهم مراجع أساسية في التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد وغير ذلك، ولقد عملوا المستشرقين على نشر الموسوعات وملؤها بالسموم والشبهات والتهجم على القرآن الكريم والرسول محمد(ص)، حيث وقف الاستشراق من القرآن الكريم والرسول الكريم(ص) والدين الإسلامي واللغة العربية، موقف الخصومة، وشن حملاتهم على إنكار مصدر القرآن الرباني، والتشكيك في الهيته والقول أنه من عمل

---

١ – كما أنه توجد جامعات خاصة في أوروبا وأمريكا وأنحاء العالم تدرس فيه الإلحاد ومن أمثلة هذه الجامعات:

(Theology& Religiou studies/https://www.thecompleteuniversityguide.co.uk(

(philosophy - uk university/ https://www.thecompleteuniversityguide.co.uk/)

(University of Miami/http://welcome.miami.edu/)

٢ – انظر (علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية، ص٤٢٠ – ٤٢٧).

محمد(ص) فقد كان هذا ماركز عليه وبثه الكثيرين من المستشرقين ومنهم جولد تسيهر[1]، مرجليوث[2]، وآخرين كثيرين، كما أن دور ومؤامرات المستشرقين مع حكوماتهم بارز ويتجلى ذلك في خطاب المستشرق الهولندي سنوك هرخرونيه[3]، وتوجيهاته للاستعمار الهولندي الذي كان يحتل الهند

١ - جولد تسيهر: مستشرق يهودي من المجر، عاش فترة (١٨٥٠م - ١٩٢١م)، بدأ رحلته عبر سوريا وفلسطين ومصر، واستغل الفرصة لحضور محاضرات المشايخ المسلمين في مسجد الأزهر في مدينة القاهرة. وكان أول يهودي في العالم ليصبح أستاذاً في جامعة بودابست (١٨٩٤)، ومثل الحكومة الهنغارية وأكاديمية العلوم في مؤتمرات دولية عديدة، فلقد عين أمينا للجالية اليهودية في بودابست. فهو أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي، حيث يعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي. ألف الكتب وكتب المقالات بهدف الطعن في السنة وليس البحث العلمي، ومكث سلطانه وسلطان مدرسته متسلطاً على كثير من المستشرقين والذين ينتمون إلى هذا الدين بالاسم فقط واعتبروا كتبه المرجع الأساسي في دراساتهم للأحاديث والسنن ولم يخرج عن متابعته في كل ما قاله الا فئة قليلة جداً من المستشرقين المتأخرين عنه فقد تحرروا من متابعته وناقشوه في بعض ما قال ورأوا في أحكامه على السنة جوراً وظلماً. راجع (حسين محمد نصار، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، ص١٢٠٠).

٢ - مرجليوث: هو دافيد صمويل، إنجليزى يهودي، من كبار المستشرقين، متعصب ضد الإسلام، متهم بالتهويل وعدم التوثيق فيما يخص التاريخ الإسلامي، ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية)، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، والمجمع العلمي في دمشق، عين أستاذ للعربية في جامعة أكسفورد له كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن مخلصاً فيها للعلم مات سنة ١٩٤٠م من مؤلفاته: "التطورات المبكرة في الإسلام"، و"محمد ومطلع الإسلام"، و"الجامعة الإسلامية"وغير ذلك، وكل هذه الكتابات اتّسمت بالتعصب والتحيز والبعد الشديد عن الموضوعية. راجع (عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٤٦).

٣ - كريستيان سنوك هرخرونيه: مستشرق هولندي، عاش فترة (١٨٥٧ م - ١٩٣٦م)، باحثاً في ثقافة ولغات الشعوب الشرقية ومستشاراً في شؤون السكان الأصليين في الحكومة الاستعمارية في الهند

وأندونيسا حيث قال:

«يجب على الحكومات الأوروبية التي استولت على بلاد الإسلام أن تجتهد في إظهار التناقض بين الإسلام والمدنية العصرية وإقناع ناشئة المسلمين بأنهما ضدان لا يجتمعان فلابد من رفع أحدهما ولما كانت المدنية الحاضرة هي نظام كل شيء ولا محيد عنها لمن يريد أن يعيش كان البديهي أن الذي سيرفع من النقضين هو الإسلام»[1].

إن المنهاج العلمي والأمانة العلمية من المتطلبات الضرورية لمن يسعى لنقل أو ترجمة حضارة أو تأريخ ما، وقد كان الإسلام منصفاً مع الأديان السابقة فقد ناقشها دون أن تكون أحكامه على الهوى أو الرأي، أما الأوروبيون وفيما نرى من كتابات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين فالملاحظ أنهم تجاوزوا

الشرقية الهولندية (الآن إندونيسيا)، انتحل الإسلام لأغراض التجسس، وأراد أن يعرف كيف يؤثر الحج على الحجاج الإندونوسيين حيث إنهم بعد الحج يرجعون ثائرين على الاستعمار، أقام في جدة سنة ١٨٨٤م سبعة أشهر وتزعم بعض المصادر، أتقن اللهجة الحجازية ثم دخل مكة ومكث بها خمسة أشهر، مدعياً دراسة الإسلام واللغة العربية حيث درس على أيدي علماء مكة، وبقي في مكة حتى نهاية ١٨٨٥م. جمع الكثير من المعلومات خلال إقامته بمكة وألف بعد ذلك كتاباً سماه (صفحات من تاريخ مكة) كتبه باللغة الألمانية، لم تنته الرحلة كما أرادها هرخرونيه فاضطر إلى مغادرة مكة فجأةً حيث انكشف أمره بكلمات فاه بها وكيل قنصل فرنسا بجدة في بعض المجالس بكلمات خرجت بعفوية غير مقصودة، والأقاويل الكثيرة دعمت شكوك الشريف عون الرفيق – شريف مكة آنذاك – بأن وجود هرخرونيه لم يكن لأداء الشعائر بل كان لأغراض تجسسية وبحثية. راجع (عبد الرحمن بدوي، المصدر السابق، ص٣٥٣).

١ – أنورالجندي، مقدمات العلوم والمناهج، ج٥، ص١٣٧.

الحق إلى التعصب والكراهية وعدم الأنصاف وكأنه لا يمكنهم التحرر من أيدلوجيات الغرب بل الاستشراق صنيعها ومرتبط بها ارتباطاً جذرياً ولا توجد لديه النظرة العلمية الصحيحة أو الإنصاف[١].

إذن أساليب المستشرقين كانت تتمثل في: -

١ - أثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة النبوية وأحكام الإسلام وتشريعاته ومبادئه ولغته.

٢ - التعرض لشخصية الرسول الكريم محمد(ص) بالإساءة والتهجم وأختلاق الأكاذيب والإفتراءات على الإسلام وتاريخ المسلمين.

٣ - دس الأفكار الفاسدة وإغراء بعض ضعاف النفوس أو ضعفاء العقول من المسلمين باعتناقها على أنها تعاليم الإسلام ومفاهيمه ثم محاربة الإسلام بها لإعاقة انتشاره.

٤ - إضعاف القيم الإسلامية عن طريق شرح تعاليم الإسلام ومبادئه شرحاً يضعف في المسلم تمسكه بدينه ويقوي في نفسه الشك فيه كدين أو كمنهج يتفق وطبيعة الحياة القائمة، وذلك بمقابلة بعض أحكام الإسلام وأركانه وتشريعاته بالاستهزاء والسخرية ووصف المتمسكين بها بالرجعية والتخلف

---

١ - انظر (د. صابر عبد الرحمن، طعيمة، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، ص٧٣ - ص٨٥)، وانظر (د.علي محمد، جريشة، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص١٨ - ص٢٩)، وانظر (محمد عبد الله، الشرقاوي، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، ص٣٠ - ص ٦٩)، وانظر (صابر عبد الرحمن، طعيمة، الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، ص٢٧٨ - ص ٣٠٠)، وانظر (مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص٢٠ - ٤٠).

والتآمر والتعصب والجمود ونحو ذلك من العبارات التي تضعف حماس المسلمين المتمسكين بدينهم مما يخلق فجوة وهوة مع دينهم ثم البعد والتنصل عن الدين الإسلامي وأحكامه.

٥ – التقليل من قيمة العلماء والأنتقاص منهم لكي لايكون هناك التفاف جماهيري حولهم والذي قد يؤدي إلى تقوية قاعدة الإسلام والمسلمين.

وبذلك نقول يتوجب على القارئ الحيطة والحذر عند التعامل مع نصوص ومؤلفات وموسوعات المستشرقين وعدم الاعتماد عليها كليّاً دون التأكد من مصداقيتها وواقعيتها، ورغم أن هناك بعض المستشرقين كانوا ملتزمين بالأمانة العلمية إلّا أنه الأغلب الأعم منهم لا يخلون من حسيكة النفاق على الإسلام والمسلمين.

وإذا كان الفرد المسلم لايمتلك الثقافة الإسلامية الجيدة والاطلاع الكامل على تراثه ودينه فلا مبرر للتعرف أو الاطلاع على آثار المستشرقين لخطورة التأثر بالشبهات والأكاذيب التي يثيروها في كتبهم، كما أن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى تكوين مؤسسات علمية قوية تواجه جهود المستشرقين وبحوثهم ومؤمراتهم والرد عليها وشرح القيم الإسلامية لتنقية أذهان الكثير من أبناء المسلمين من الرواسب التي خلفها الاستشراق في البلدان الإسلامية.

٣ – العلمانية

تزامن ميلاد العلمانية مع ميلاد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، فكانت فرنسا هي أول دولة تقيم نظامها على أسس الفكر العلماني بما يتضمنه من إبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والأخلاقية

بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته ومعاداة أهله، حيث كان الناس يبحثون عن مهرب لهم من طغيان الكنيسة والتمرد عليها، فوجدوا في العلمانية خير منفذاً لهم، فقاموا بإلغاء كل امتيازات الجمعيات الدينية وحاربوا العقائد الدينية علناً وبشدة، وبهذه الظروف نمت شجرة العلمانية وترعرت.[١]

وكلمة علمانية «قد تبدو محببة عند البعض باعتبارها مشتقة من العلم، بينما عند ترجمتها أو إرجاعها للغتها الأصلية نجدها تعني اللادينية أو الفصل الكامل بين الدين والحياة»[٢]. وقيل أيضا: «إن العلمانية حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا، لذلك يمكن اعتبار المدلول الصحيح للعلمانية هو إقامة الحياة على غير الدين»[٣]، وذكر آخرون أن العلمانية هي:«العقيدة التي تذهب إلى أن الأخلاق لا بدَّ من أن تكون لمصالح البشر في هذه الحياة الدنيا، واستبعاد كل الاعتبارات الأخرى المستمدة من الإيمان بالإله أو الحياة الآخرة»[٤]، وبعد هذه التعاريف نتناول بعض العوامل التي ساعدت على تحقيق العلمانية وأهمها:

---

١ – راجع محمد شاكر الشريف، العلمانية وثمارها الخبيثة، ص١١.

٢ – صابر طعيمة، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، ص٢٠٧.

٣ – د.سفر بن عبد الرحمن، الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ص٢٤.

٤ – سمير أمين، وآخرون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ص٢٣٣.

أ – الفكر اللاديني

وهو الذي طبع عصر التنوير[1] – كما يسمى – بطابعه الخاص وبدأت فيه العلوم والآداب تستقل عن المؤثرات الدينية بشكل ملحوظ، وكانت عبادة العقل والطبيعة هي ميزة العصر، والذي كان يسعى لغاية واحدة وهي تقويض الدين واجتثاث مبادئه من النفوس، والمناداة بمجتمع ينفصل فيه الدين عن الدولة وأن الدين يجب أن يلغى ليحل محله الدين الطبيعي أو القانون الطبيعي.

ب – القوى الخفية

وهم اليهود وتبجحهم في غرور أنهم صُناع الثورة الفرنسية ومدبروها حيث تقول بروتوكولاتهم "تذكروا الثورة الفرنسية فإن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيداً لأنها من صنع أيدينا"[2]، ونفثوا تلك الشعارات «الحرية،

---

١ – عصر التنوير: يُقرن عصر التنوير بالتاريخ الفكري – الاجتماعي لكل من إنكلترا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا، تتوزع أفكار عصر التنوير على ثلاثة محاور: العقل والطبيعة والتقدم، فهو اتجاه ساد أوروبا الغربية في القرن الثامن عشر بتأثير طبقة من الملحدين، عُرفوا باسم الفلاسفة وكانوا صحفيين وكتاباً ونقاداً ورواد صالونات أدبية أمثال فولتير، ديدرو، كوندورسيه، هولباخ، بيكاريه، ولكن هؤلاء المفكرين الملحدين أخذوا عن الفلاسفة العقليين ديكارت، واسبينوزا، وليبتنز، ولوك، الذين طبعوا القرنين السابع عشر والثامن عشر بطابعهم الثقافي حتى أُطلق على هذه الفترة عصر العقل، ويقسم إلى ثلاث مدارس: – أ – مدرسة ذات طابع علمي عام بزعامة (ديدرو).ب – مدرسة ذات طابع اجتماعي وسياسي بزعامة روسو. ج – مدرسة ذات طابع فلسفي مؤسسها سبينوزا وفولتيرراجع (د.إبراهيم الحيدري، ما هو التنوير، مجلة إيلاف الإلكترونية، http://elaph.com).

٢ – سفر عبد الرحمن الحوالي، مصدر سابق، ص١٧٣.

الأخاء، والمساواة»، فهم يقصدون بالحرية تحطيم القيود الأخلاقية والتقاليد الموروثة التي تحول بينهم وبين إفساد الأمم وتدميرها.

ج – نظرية التطور

وكان من آثار هذه النظرية إنهيار العقيدة الدينية، وأصيب العالم بنقص حقيقي في الإيمان بسبب ما أشاعه أعداء الدين من تفسيرات باطلة في هذه النظرية، وانتشر الإلحاد بطريقة غريبة وشاذة، وهذا ماجاء أيضاً في البروتوكولات اليهودية أذ تقول: «لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولاحظوا هنا أن نجاح داروين، وماركس، ونيتشه، في الفكر الأممي – غير اليهودي – سيكون واضحاً لنا على التأكيد»[1].

وكان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسواء الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم وذلك من خلال:

١ – رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى وإقصاء الشريعة الإسلامية عن كافة مجالات الحياة والاستعاضة بالقوانين الوضعية[2].

٢ – تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه.

٣ – بث الأفكار العلمانية في المناهج الدراسية في مختلف مراحل التعليم.

---

١ – عباس محمود العقاد، الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون، ص١٢٤.

٢ – القوانين الوضعية: هي القوانين التي وضعها الإنسان والتي تنظم حياة البشر وتيسر المعاملة بين البشر من دون الاعتماد على التشريعات السماوية، وتسمى أيضاً قوانين مدنية وقد تحولت أغلب القوانين الأوروبية إلى هذا النوع من القوانين بعد أن كانت تشريعاتها سماوية في الأغلب في فترة حكم الكنيسة، راجع (عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، ص١٣).

٤ – إقصاء دروس القرآن والتربية الدينية وتقليص فترتها إلى أقصى حد ممكن وجعلها مادة هامشية.

٥ – نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية والتشجيع عليه من خلال القوانين التي تبيح الرذيلة ولاتعاقب عليها وتعتبر ممارسة الرذيلة من باب الحرية الشخصية.

٦ – محاربة الحجاب وفرض الاختلاط في المدارس والجامعات.[١]

وهكذا نرى أن العلمانية قد طُبقت في البلدان الإسلامية أكثر من تطبيق الغرب لها، وليس غريباً أن تجد العلمانية في الغرب مكانها فإن ظروف أوروبا التأريخية والديانة المسيحية المحرفة وطغيان الكنيسة كانت تبرر انتشار العلمانية وفصل الدين عن الدولة، إلّا أن ظروف العالم الإسلامي التأريخي والديانة الإسلامية لا تسمح بقيام العلمانية إلى جوار الإسلام، فلم يكن ثمة اضطهاد من رجال الدين الإسلامي للعلم والعلماء إذا صح التعبير للمقابلة مع رجال الكنيسة، بل إن الإسلام برمته يشجع على العلم والتعلم، كما أن الإسلام كعقيدة وشريعة لايقبل التجزئة ولا التفرقة لأنه منظومة متكاملة يشمل جميع جوانب الحياة، وهكذا أخذت فكرة العلمانية المجافية للدين تغزو العالم الإسلامي بكل مافيها من أفكار إلحادية ونظم وقوانين، وهذا من أخطر ما ابتليت به الأمة الإسلامية، حيث طبقت في تركيا، وظهرت في ظل حكم مصطفى كمال أتاتورك بشكل صارم وعنيف، وتم فرض القانون الوضعي

---

١ – انظر (د.علي محمد جريشة وآخرون، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص٥٩ – ٧٤).

بديلاً للشريعة الإسلامية وإلغاء المحاكم الشرعية، وإلغاء الحجاب والمدارس الدينية، ثم زحفت العلمانية بقوة تنتشر بين المسلمين مع جيوش المستعمرين الغربيين ومدارسهم ومن معهم من المستشرقين والمنصرين، فطبقت العلمانية في قطاع التعليم ومناهجه والذي يعتبر من أهم الميادين التي استهدفتها العلمانية بهدف تمييع الشخصية الإسلامية ووضعها في القالب الذي تريده باعتبار التعليم طريقاً مختصراً وممهداً لتضليل الأفكار وتشويه الحقائق، وإحلال منهج علماني بديلاً عنه، والسيطرة على مناهج المدارس الوطنية وتغيير مناهجها من دراسة القرآن الكريم وعلوم العقيدة إلى دراسة اللغات الأجنبية بطريقة تحبب المسلم فيها وتنفره من اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية، يقول زويمر: «إن أهم الأساليب إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلماني»[1]، ويقول المنصر جون تاكلي: «يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد تزعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية"، ويقول أيضاً: «يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضى عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً»[2]، كما طبقت العلمانية في الفنون فانطلق هواة الفن ينتجون

---

١ - جلال العالم، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، ص٥٣.

٢ - عبد الحميد السحيباني، الفتنة وموقف المسلم منها، ص١٧٧.

إنتاجاتهم المختلفة مستهينين بالدين وفضائل الأخلاق والسلوك.

وعلى الرغم من أن الحضارة العلمانية الغربية قد قدمت للإنسان كل وسائل الراحة وكل أسباب التقدم المادي، ووصولها إلى أرقى أساليب التقنية الحديثة، إلا أنها فشلت في أن تقدم له شيئاً واحداً وهو السعادة والطمأنينة والسكينة بل قدمت للإنسان مزيداً من التعاسة والقلق والبؤس والتمزق والاكتئاب، وذلك لأن السعادة والسكينة أمور تتعلق بالروح، والروح لايشبعها إلا الإيمان بخالقها، والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إيماناً مَعَ إيمانِهِمْ}[1]، أي جعل الله الطمأنينة والوقار في قلوب المؤمنين الذين استجابوا لله ولرسوله، وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلما أطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم الله إيماناً مع إيمانهم[2].

٤ – التيارات التكفيرية والخطاب الديني المتشدد

إن من أبرز أسباب الإلحاد هي تلك الممارسات الإرهابية للجماعات التكفيرية المتطرفة والجاهلة بأصول الشريعة الإسلامية وقواعدها والتي تنتهج الوحشية والترهيب والذبح باسم الإسلام، والتي صدرت مفهوماً مشوهاً

١ – الفتح، آية ٤.

٢ – انظر (د.علي عبد الحليم، الغزو الفكري والتيارات المعادية، ص٣٠٥ – ٣١٦)، وانظر (د.سعد الدين السيد صالح، أحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص١٦٢ – ١٧٦)، وانظر (د.صابر عبد الرحمن طعيمة، الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، ص١٢٧ – ١٥٣)، وانظر (محمد نبيل النشواتي، الإسلام يتصدى للغرب الملحد، ص١٦٩ – ص١٧٣).

لتعاليم الدين، ورسخت صورة وحشية قاتمة له، وصارت تحتكر الإسلام والإيمان فتعتبر فئة قليلة هي المؤمنة وسائر المسلمين كفاراً ومهدوري الدم، بالإضافة إلى الخطاب الديني المتشدد الذي تصدره التيارات الإسلامية المتزمتة، فإن هذه التيارات لا تعرف سوى التشبث بالأمور الشكلية التي قد تبعد الناس عن الدين مما نفر عدداً من المسلمين من الإسلام ودفعهم إلى الإلحاد[١].

---

١ - ذكرت جريدة أيلاف أن علماء الأزهر يرون أن الجماعات الإرهابية سبب رئيسي في انتشار ظاهرة الإلحاد في مصر، لاسيما أن هذه الجماعات تقدم صورة مشوهة عن الإسلام، وتساهم في نفور المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى من الإسلام والأديان بصفة عام، وأجرت هيئة الإذاعة البريطانية حلقة نقاشية على موقع تويتر بعنوان "لماذا نرفض تطبيق الشريعة الإسلامية"، وقد تجاوب معها خمسة آلاف تغريدة في يوم واحد، حيث تركز النقاش حول ما إذا كانت الشريعة الإسلامية مناسبة لاحتياجات الدول الإسلامية والنظم القانونية الحديثة، وأشار أكثرهم إلى ما ترتكبه الجماعات المتشددة والمتطرفة من انتهاكات باسم الإسلام من قتل وسبي وانتهاك لحقوق الإنسان وامتهان المرأة كبيرة وصغيرة، وأوضح الدكتور إبراهيم نجم مستشار مفتي مصر أن عدداً من الدراسات والإحصاءات أظهرت أن الإلحاد في السنوات الأربع الماضية شهد نشاطاً كبيراً، فسرعان ما ظهرت عشرات المواقع الإلكترونية على الإنترنت تدعو للإلحاد، وتدافع عن الملحدين، في مقدمة هذه المواقع الإلكترونية "الملحدين المصريين" و"ملحدون بلا حدود" و"جماعة الإخوان الملحدين" و"مجموعة اللادينيين" و"ملحدون ضد الأديان"، كما ظهرت مواقع شخصية للملحدين، جميعها بأسماء مستعارة فظهر "ملحد وأفتخر" و"ملحد مصري"، و"أنا ملحد"، ووفقاً لدراسة أعدها مركز "ريد سي" التابع لمعهد غلوبال، فإن مصر تحتل المركز الأول بين الدول العربية في الإلحاد، وتضم ٨٦٦ ملحداً، ورغم أن الرقم ليس كبيراً إلا أنه الأعلى في الدول العربية، بينما تقدر دراسة أجرتها جامعة **"**إيسترن ميتشيجان**"** الأميركية عدد الملحدين في مصر بمليوني شخص. راجع (أيلاف، جريدة يومية إلكترونية، العدد ٥٧٦٤، (http://elaph.com/Web/News).

يعود جذور هذا النمط من التشدد والتكفير إلى عصر ابن تيمية[1]، والوهابيين[2] المتطرفين من بعده بزعامة محمد بن عبد الوهاب[1]، وأصبح معيار

١ – هو أحمد تقي الدين بن عبد الحليم حفيد الفقيه الحنبلي مجد الدين عبد السلام، وينتهي نسبه إلى عبد الله بن تيمية الحراني، ولد في حران وهي قرية تقع شمال محافظة الرقة في سورية، عاش فترة (١٢٦٣م – ١٣٢٨م)، حاد عن طريق أهل الحق وعما كان عليه رسول الله (ص) وصحابته في الاعتقاد وعما أجمع عليه العلماء والمسلمون وضل وأضل، ولذلك خاب ظن العلماء فيه في عصره وأخذوا يتخلون عنه واحداً إثر واحد على توالي فتنه وخطرها، وصار علماء عصره يردون عليه ويحذرون الناس منه ومن ضلالاته، كان يعطي العلم للناس محرفاً بقصد إضلالهم وإفسادهم وذلك بسبب فساد عقله ونيته، ولعظم خطر ابن تيمية وفتنته في عصره أصدر الملك محمد بن قلاوون منشوراً يحذر فيه من ابن تيمية ومن أتباعه ليقرأ على المنابر في بلاد مصر والشام، ومن بين جرائم الإبادة الجماعية التي أشرف عليها وباركها ابن تيمية فاستحق من أجلها لقب الشيخ المجاهد كانت مجزرة كسروان في جبل لبنان ضد القري الشيعية، وذلك في سنة ٧٠٤هجرية – ١٣٠٥م فقد حرّض على قتال المسلمين الشيعة، ونهب أموالهم وأسر من عاش منهم، وهو نفس المنهج الذي اتبعه الوهابيون وحلفاؤهم السعوديون إزاء الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، راجع (عبد الهادي الصالحي، العقود الدرية، ص٣).

٢ – خلق الاستعمار فرقة متطرفة باسم الوهابية والتي تنسب إلى محمد بن عبد الوهاب، فلقد وجد الإنكليز فيه حب الجاه والضعف الأخلاقي والأفكار المتطرفة فاختير لتأسيس الفرقة التي يريدون، وتقوم مبادئ الوهابية على أساس تكفير المذاهب الإسلامية وبث التفرقة بين المسلمين وتكفيرهم وتفسيق بعضهم بعضاً ومحو آثار الإسلام الروحية والتوافق مع الاستعمار، فمحمد عبد الوهاب أقام دعوته على أساس من رؤى ابن تيمية ونواياه، كما أن عقيدة الوهابية في الصفات هي من صنف عقائد المجسمة، فهم ينسبون إلى الله تعالى الأعضاء على الحقيقة كاليد، والرجل، والعين، والوجه، ثم يصفونه تعالى شأنه بالجلوس والحركة والانتقال والنزول والصعود على الحقيقة، كما أن الوهابية لما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عامّاً واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والأمير والشريف والوضيع وصاروا يذبحون على صدر الأم الطفل الرضيع ويقتلون الناس في البيوت والحوانيت ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم ثم خرجوا إلى المساجد يقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد ونهبوا النقود والأموال وصاروا

التكفير عندهم هو مخالفة أفكارهم، مما جر العالم الإسلامي والمسلمين إلى هاوية العنف والإرهاب والتقتيل وما نشهده هذه الأيام من جرائم بشعة ترتكب باسم الإسلام في مختلف المناطق في العالم الإسلامي كسورية والعراق وأفغانستان والباكستان والصومال وغيرها، إنما هو جراء هذا الفكر[٢].

فلقد ساعد المذهب الوهابي والتيارات السلفية والتكفيرية بأساليبهم في خدمة أعداء الدين وذلك من خلال:

١ - تشويه عقائد المسلمين وخصوصاً التوحيد الذى هو أساس الاعتقاد وتحويله إلى تجسيم والعمل على تشويه الإسلام بإظهاره بمظهر الدين الجامد المتخلف الرجعي.

يدوسون بأقدامهم المصاحف ونسخ البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه والنحو بعد أن نشروها في الأزقة والبطائح وأخذوا أموال المسلمين واقتسموها كما تقسم غنائم الكفار. راجع (أحمد بن زيني دحلان، أمراء البلد الحرام، ص٢٩٧ - ٢٩٨).

١ - محمد بن عبد الوهاب عاش فترة (١٧٠٣م - ١٧٩١م) كتب ابن عبد الوهاب رسالة في التوحيد كفر فيها كل أهل زمانه من المسلمين ثم اتخذها تلامذته ومن انتهج نهجه دستوراً للفتوى، حيث كانوا يحكمون على الناس(أي المسلمين) بالكفر واستباحوا دماءهم وأموالهم وكان يقول إني أتيتكم بدين جديد، وكان يعتقد أن الإسلام منحصرٌ فيه وفيمن تبعه وأن الناس سواهم كلهم مشركون، واتضح أن محمد بن عبد الوهاب هو وأتباعه جاؤوا بدين جديد ليس هو الإسلام، وكان يقول من دخل في دعوتنا فله ما لنا وعليه ما علينا ومن لم يدخل معنا فهو كافر حلال الدم والمال. راجع (صائب عبد الحميد، الوهابية في صورتها الحقيقة، ص٣٥ - ٤٠).

٢ - انظر (مجيد فاطمي نجاد، العقلانية الدينية والجاهلية المعاصرة، انعكاسات آراء ابن تيمية في جرائم التيارات التكفيرية، ص١٥ - ٣٣).

٢ – العمل على تفريق المسلمين وإضعافهم وشغلهم بالصراعات الداخلية.

٣ – العمل على التقليل من شأن الرسول(ص) فى نظر المسلمين وتصويره على أنه رجل جاء ومات، وينهون عن الصلاة على النبي محمد(ص) بعد الأذان أو ليلة الجمعة وعن الجهر بها من على المنابر، ولقد أحرقوا كثيراً من كتب الفقه والتفسير والحديث مما هي مخالفه لأباطيلهم.[١]

٤ – إبقاء المسلمين فى حالة جهل دائم وتخلف مستمر لأن الفكر الوهابي بطبيعتة جامد ويرفض الابتكار والتحديث ويحارب العلماء ويضيق عليهم.

٥ – التمكين للنظم الديكتاتورية الحاكمة لأن الوهابي بطبعه لا يصطدم مع الحاكم وإنما يصطدم مع المسلم العادي.

٦ – إشغال المسلمين بالصراع والاقتتال الداخلي بحيث يصبحوا دوماً ضعفاء ومتخلفين وتظل السيطرة دائماً عليهم للقوى الكبرى.

استفاد الغرب من هذه الفرصة المتمثلة في هذه التيارات لمجابهة المد الإسلامي في الغرب فواصل العمل في مشروعه ضد الإسلام من خلال استغلال هذه التيارات التي تحاول دائماً أن تنشر أفكارها بالقوة لا بالمنطق والجدال والعقل، كما تتسم بالمحدودية، فتأسيسها كان لمصالح دول معينة من دول الاستعمار القديم أو العولمة لاستغلالها في القضاء على قوى أخرى تحت ستار الدين[٢].

---

١ – انظر (صدقي الزهاوي، الفجر الصادق، ص١٧ – ١٨).

٢ – انظر (أحمد مصطفى وآخرون، العقلانية الدينية، الفرق بين الحركات الثورية والحركات التكفيرية والإرهابية، ص٧٧ – ٧٩).

ونجد أن محمد عبد الوهاب قد حكم على جميع مسلمين عصره بالكفر في كتاب له اسمه "كشف الشبهات بارتداد جميع المسلمين عن الإسلام"، فكان هذا الكتاب أساساً لإباحة دماء وأموال وأعراض المسلمين وتسبب في وقوع الكثير من المجازر.[1]

إن القساوة وأسلوب الغلظة والفظاظة في الخطاب الدعوي للتيارات الدينية المتشددة شجع على القمع والعنف على مستوى التطبيق العملي، ثم النفور الشديد من ممارساتهم مما جعل الإلحاد ذريعة لبعض الناس لترك هكذا دين يدعوا إلى القسوة ويتجرد من العقلانية والإتزان في طرحه ومنهجه، ومعنى العنف «هو الشدة والقسوة والغلظة مع الآخرين وهو ضد الرفق واللين والرحمة ويكون العنف إما في تكوين الطبع الشديد وإما في أثناء ممارسة المعاملة مع الغير بقوة»[2]، والإسلام بعيد عن هكذا أسلوب حيث مَنَّ الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد(ص) بانتفاء هذا السلوك عنه، مما جعل الناس يلتفون حوله كما جاء في قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[3]، فإن الإلحاد هو الوجه الآخر للتشدد الديني وأن التشدد الديني هو سبب مباشر للإلحاد

---

١ - انظر (أبو الفضل، الغفاري، العقلانية الدينية والجاهلية المعاصرة، أصول منهجية السلفية، ص١١٣ - ١١٩).

٢ - د.جلال الدين محمد صالح، الإرهاب الفكري أشكاله وممارساته، ص١٦٢.

٣ - آل عمران، آية: ١٥٩.

الفكري، وأن هؤلاء يحكمون بالتكفير من خلال الشبهة والظن والرأي دون أي بينة واضحة وأن كثيراً من أتباعهم يطيعونهم في ذلك ويمتثلون لأوامرهم فيقومون بقتل المسلمين كما يفعلون مع الكفار فيشجعونهم على ذلك ولا يأخذون بنظر الاعتبار مسألة الأخلاقيات في الحرب بل ويدفعونهم إلى قتل الأسرى والنساء والأطفال وغيرهم ولو بعمليات انتحارية، وأن غالبية من ألحد كان إلحاده ردة فعل نفسية من التشدد الديني والاجتماعي الذي تربى عليه فمن المهم ألا يكون الخطاب الديني سبباً لتشكيل عقليات أسطورية أو مثالية متشددة، إننا بحاجة أن يكون خطابنا أكثر اعتدالاً، غير متصادم مع التطور الدنيوي ولا يغرس الكراهية في قلوب الناس لمجرد أن الآخر يخالفنا في الرأي أو الدين، ومن المهم جداً التفريق في توعية مجتمعنا بين المسالم والمحارب وفي علاقتنا القلبية والسلوكية مع كل منهما، مهتدين في ذلك بسيرة النبي(ص) والقرآن الحكيم. وإنَّ من يحمل الخطاب الديني لا بدَّ أن يكون على قدر عالٍ من الوعي والتأثير وعلاج الانحرافات، كما أنه لا بدَّ أن يكون قادراً على رد الشبه والإشكالات بالإضافة إلى التسلح بالأسلوب البلاغي والعقلاني وغيرها من الأساليب التي يحتاج إليها إيضاح الأفكار، خاصة في مخاطبة الشباب، واستخدام الأسلوب الأنفع والأصلح لكل حالة.[1]

إذاً إنَّ الجماعات الإسلامية المتشددة والتيارات التكفيرية المدعومة والمسددة

---

١ – انظر (مهدي فرمانيان، العقلانية الدينية والجاهلية المعاصرة، ماهية التيارات التكفيرية، ص٣٩ – ٤١).

من قبل أعداء الإسلام مسؤولة عن تزايد عدد الملحدين في المجتمعات الإسلامية، لتشويههم تعاليم الدين الحنيف وترسيخ صورة وحشية له، لما يرتكبونه من أعمال ترهيب وذبح باسم الدين.

المبحث الثالث:

العامل السياسي

نتعرض في هذا المبحث لبعض المناهج والنظم الأخرى المعادية للإسلام والمسلمين، والتي تعتبر الأساس في زرع حجر الفتنة والانحراف العقائدي والإلحادي في البلدان الإسلامية باعتبار أن هذه التيارات كانت أساس الانحرافات والمخاطر العقائدية على الإسلام والمسلمين، فالماسونية والشيوعية وغيرها العديد من التيارات والمسميات الأخرى والتي منشؤها اليهود، وما تشتمل عليه من نظم ونظريات إلحادية، لايعترف بها الإسلام بل تناقض منهجه وشريعته، ليست سوى نظريات هدامة، سنعرفها ونبين خطورتها ودسائسها، وما تركته من آثار على الأفراد، ولقد رَسَخت الإلحاد في المجتمعات الإسلامية من بعد تخطيط محكم له ونجحوا بتنفيذ ما يرمون إليه من الفرقة بين المسلمين وتضعيف العقيدة وإبعاد أبناء المسلمين والناشئة عن دينهم وقرآنهم:

١ – الماسونية

هي منظمة يهودية مغلقة غامضة وسرية تعمل في الخفاء، أنشأها اليهود ليمارسوا من خلالها أهدافهم وأغراضهم، للاستيلاء على العالم عن طريق تقويض الأديان – غير اليهودية – والأخلاق، وإشاعة الإلحاد والإباحية والفساد، ورغم أنها قديمة المنشأ إلّا أنها أخذت اسماً جديداً هو ماسونية في عام ١٧١٧م بمؤتمر لندن، ولها صلة وثيقة بالصهيونية العالمية التي تحركها وتدفعها لخدمة أغراضها، فهي في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور

وصهيونية النشاط، فاليهودية العالمية هي القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية وإن التساند الواضح الموجود بين الماسونين يرجعه الباحثون المطلعون إلى كثرة اليهود في الصفوف المتقدمة من الماسونية، فمنذ القدم اتخذت الماسونية حفظ الأسرار عادة لها فتفاصيل عملها محجوب حتى على أعضائها إلّا الخواص منهم، وإن من أهدافها السرية هو هدم الأديان وهدم الإسلام بصورة خاصة في نفوس أبنائه، فهي تعمل في أرتقاء مراتب الملاحدة والمستعدون للإلحاد وذلك بتهيئة لهم الإمكانيات والإمدادات لنشر أفكارهم ونظرياتهم وبذلك تحقق سيادتها على العالم ثم تأسيس دولة إسرائيل[1].

وتحتل الماسونية مكان الصدارة في معظم الدوائر والمنظمات وتسيطر على مجموعة من الجامعات الكبرى لبث الأفكار الماسونية والإلحاد في عقول البشر وفي قلوبهم، وقامت بترويج الإلحاد والعقائد الكفرية والفلسفات والأفكار المادية اللادينية، وتبنت الفلاسفة والمفكرين الملاحدة أمثال ماركس ونيتشه، وإميل دور كايم[2]، وفرويد[1]. فرويد الذي هو أحد أعضاء جمعية بناي بريث[2]،

---

١ – في أيار عام ١٩٤٨ احتلت الجماعات الصهيونية أرض فلسطين وأنشأت فوقها مايسمى بدولة إسرائيل بموجب قرار الأمم المتحدة الخاص بالتقسيم.. راجع (محمد صفوت السقا أميني، وآخرون، الماسونية، ص١٩٤)، و(جميل عبد السيد فرج، هكيل سليمان الثالث، ص٥).

٢ – إميل دوركايم: – فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، ولد بمدينة إبينال بفرنسا حيث نشأ في عائلة من الحاخاميين ذات الأصول اليهودية، عاش فترة (١٨٥٨م – ١٩١٧م)، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معاً. راجع (الموسوعة الفلسفية، مجموعة من العلماء السوفياتيين، إشراف:م. روزنتال، ب. يودين. ترجمة:سمير كرم، ص١٨٣).

وأصبح عضواً عاملاً فيها منذ عام ١٨٩٥ وبقي حتى وفاته، فهو قطب من أقطاب اليهود وعلمائهم وباحثيهم والذي يرى هدم الأديان والأخلاق من الأساسيات، حيث قيل عنه في إحدى المجلات أنه اضطلع بمهمة القضاء على الأديان موضوعياً وعملياً، ويرى أن الدين لم يخدم البشرية بل حطمها وأن الدين أوهام، ولقد أقام فلسفته على الإلحاد، والدعوى لإطلاق الطاقات الجسدية والجنسية، ومحاربة الدين وكل مايتصل به ويصدر عنه، وأنطلق هؤلاء المفكرين بنشر الإلحاد وأفكار الحرية الفردية الناقمة الثائرة على القيود الأخلاقية والاجتماعية ونشر كل ما يفرز الفكر الإلحادي الذي ينكر وجود الله ويؤمن بأزلية المادة ويجعل حياة الإنسان قاصرة على هذه الحياة الدنيا وإطلاق الرغبات والشهوات والأهواء دون أي قيد أو ضابطة[٣].

ففي مؤتمر الطلاب الذي انعقد في سنة ١٨٦٥ في مدينة لييج البلجيكية

---

١ – سيغموند فرويد: طبيب نمساوي ومفكر حر من أصل يهودي، ملحد الديانة، اختص بدراسة الطب العصبي، عاش فترة (١٨٥٦م – ١٩٣٩م). انظر (محمد علي، الزعبي، المصدر السابق، ص٨٩ – ٩٠).

٢ – منظمة بناي بريث الدولية: – هي أقدم منظمة صهيونية في العالم، تأسست عام ١٨٣٤م في نيويورك، إذ ينتسب إليها أكثر من نصف مليون عضو بين رجل وامرأة، وأصبح محفلها ببرلين يضم حوالي ثمانين فرعا، مهمتها التقاط الأخبار واحتلال مراكز حساسة في الدول، وفي كل بلد يوجد لها فرع سري، وأهدافها نشر التراث والتقاليد الصهيونية. انظر (محمد علي، الزعبي، المصدر السابق، ص٨٧ – ٨٩).

٣ – انظر (محمد صفوت السقا، أميني، وآخرون، نفس المصدر السابق، ص١٨٤ – ١٨٦).

والتي تعتبر إحدى المراكز الماسونية أعلن أحد رؤسائها في الطلاب الوافدين من المانيا واسبانيا وروسيا وانكلترا وفرنسا قائلاً: «يجب أن يتغلب الإنسان على الإله وأن يعلن الحرب عليه وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق، وأن الإلحاد من عناوين المفاخر، وليعش أولئك الأبطال الذين يناضلون في الصفوف الأولى وهم منهمكون في إصلاح الدنيا وسوف نقوي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة وسوف نعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو «الدين»، وهكذا سوف ننتصر على العقائد الباطلة وعلى أنصارها ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألو جهداً في القضاء على مظاهرها»[1].

وفي المؤتمر الماسوني الكبير الذي عقد عام ١٨٨٩م في ذكرى الثورة الفرنسية قد أُعلِنَ أن هدف الماسونية هو تكوين حكومة لا تؤمن بالله. كما أن المؤتمر الماسوني العالمي الذي عقد في باريس سنة ١٩٠٠ قد قرر «أن هدف الماسونية هو تكوين جمهورية لا دينية عالمية»[2].

كما جاء في مؤتمراتهم قولهم:

«إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم إنما غاياتنا هي إبادتها من الوجود»[3].

---

١ – جواد رفعت، أتلخان، أسرار الماسونية، ص٣٢.

٢ – محمد صفوت السقا، أميني، وآخرون، المصدر السابق، ص٧٦.

٣ – جواد رفعت، اتلخان، المصدر السابق، ص٣٣.

وجاء في دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٠٣ تحت مادة ماسونية مايلي:

«إن تعاليم الماسونية محاطة بالسرية الدائمة وتنص في صميمها على تقديس الجنس والحرية التامة في نشر الإباحية»[١].

كما أن من ثمار الفكر الماسوني في الأرض الإسلامية هو تحريف الحضارة والتأريخ وفصل الدين عن الدولة تحت شعار الدين لله والوطن للمجتمع، ونشر الإلحاد، والدعوة إلى العلمانية في الدولة والتعليم والثقافة، وتحرر المرأة من قيود الدين والفضيلة، والإخلاد إلى الدنيا والملذات، فلقد خطت الماسونية خطوات واسعة في ميدان إضعاف الإيمان وقتل روح الوطنية وقضت على مفهوم الناس للتقاليد والأعراف الموروثة كالأمانة والأخلاق والضياع الذي يلف جوانب حياة العالم الإسلامي أفراداً وشعوباً فلا هدف ولاغاية. فالإلحاد دخل ومايزال يدخل إلى شعوب الأمة الإسلامية متسللاً بثوب العلوم والفنون وأنواع الثقافات الغربية، كما أنهم قد جنّدوا كتباً كثيرة مليئة بالأدب الغير أخلاقي، ومجلات وبرامج أذاعية وتلفزيونية بغية نشر الإباحية والمذاهب الهدامة. وما تقوله الماسونية عن الرسول الكريم محمد(ص) والقرآن الكريم والمسلمين: «أن محمد نبي مزعوم وإنه لم يأتي بجديد وأن القرآن فرع من التوراة وأن هذا النبي يتزعم شرذمة من أعداء الإيمان والبشرية»[٢]، {كَبُرَتْ

١ – محمد صفوت السقا، أميني، المصدر السابق، ص٨١.

٢ – انظر (محمد صفوت السقا، أميني، المصدر السابق، ص١٢٠ – ١٥٣)، وانظر (عبد الرحمن حسن، الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص٦٠ – ٨٥)، وانظر (جواد رفعت،

كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً}[1].

وبذلك يتضح لنا نشاط الماسونية وخطورتها العظمى، كما تبين العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وأن للماسونية تخطيط وأهداف ماكرة وهدامة على الإسلام والمسلمين، وهي وسيلة استخدمت الضمائر الميتة أداة لهدم الشعوب وحرمان الأمم من الدين ولذة العدل المطلق.

٢ – الشيوعية

الشيوعية الماركسية مذهب إلحادي يؤمن بالمادة وحدها ويكفر بالغيب وما جاء عن الله ورسله، وينكر وجود الله إنكاراً شديداً، فهي تعلن كفرها وإلحادها وتفتخر بذلك، وقد ظهر هذا المذهب في القرن التاسع عشر حيث اعتنقه أفراد وتبنته حكومات، فهي حركة فكرية واقتصادية يهودية إباحية وضعها كارل ماركس[2] تقوم على الإلحاد وإلغاء الملكية الفردية وإلغاء التوارث وإشراك الناس كلهم في الإنتاج على حدٍّ سواء. وفي الدستور السوفيتي الذي صدر عام ١٩٣٢م نص على وجوب القضاء على الأديان كما صدر قانون

أتلخان، مصدر السابق، ص١٢ – ٣٣). وانظر (علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص١٦٩ – ١٧١).

١ – الكهف، آية: ٥.

٢ – كارل ماركس اليهودي الألماني، قد تم تعريفه في الفصل الأول، فهو مؤسس النظرية الشيوعية ويذكر الباحثون عن شخصيته أنه رجل فاشل معقد يحمل كل خصائص اليهود من الحقد والكراهية، استغل اليهود أوضاعه النفسية والمادية الصعبة وقاموا بدعمه ليُنَظر لهم النظرية الشيوعية. راجع (ناصر عبد الله القفاري، وآخرون، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٩٠).

جاء فيه: «سوف لن يبقى في كافة البلاد أي مكان للعبادة ويجب القضاء على فكرة الإله»، ولقد أخاف هذا القانون الناس ففروا من الدين، وأخذت الشيوعية بنشر الإلحاد والكفر واستخدموا التعليم طريق لذلك، وحذرت الشيوعية كل الأفراد من التدين، كما صدر في عام ١٩٣٩ قانون يمنع الهيئات والأفراد من الاحتفاظ بأي نوع من الكتب الدينية.[١]

وقيل أيضاً في تعريف الشيوعية:

«إنها تنظيم بقيادة يهودية ذو هيمنة عقائدية ووسائل مغرية تستدرج بالشهوية الإباحية وتسيطر بالاستبداد المطلق المقرون بالعنف الدموي والإرهاب المعطل لطاقات الحرية العملية والفكرية والهدف الغائي من هذا التنظيم تحقيق جانب من المخطط اليهودي العالمي الرامي إلى تدمير الشعوب والأديان»[٢].

فالشيوعية تقوم على الإلحاد والمادية الجدلية، وأهم مبادئها أن المادة «الطبيعة» هي أصل الحياة وهي التي تمد الفكر الإنساني وتحركه وهي أصل كل شيء في الكون وسبب كل حدث وتفكير وسلوك وعاطفة وأن الدنيا مجرد صراع على المادة وليس لها خالق بزعمهم ولامبدع ولامتصرف، وهذا ينافي الفطرة الإنسانية السليمة، فالفكرة الشيوعية تقوم على إنكار الروح

---

١ - انظر (عباس محمود، العقاد، وآخرون، الشيوعية والإسلام، ص٦٢)، و(ناصر عبد الله، القفاري، المصدر السابق، ص٩٠).

٢ - محمد بن إبراهيم الحمد، الشيوعية، ص١١.

والدين، ومن هنا فهي تحارب الإيمان بالله وتحارب الأديان عموماً والإسلام على وجه خاص.

وأن كل التوثيقات التأريخية تدل على أن الشيوعية كانت وليدة الصهيونية وأنها خاضعة لها لتنفيذ خططها وبرامجها بدقة وإخلاص لليهودية العالمية وتنفيذ مخططها الرهيب للسيطرة على العالم، وسبق أن أثبتنا أن الماسونية هي إحدى أسلحة التنفيذ التي تستخدمها اليهودية العالمية للسيطرة على مقدرات العالم، والشيوعية هي وليدة الماسونية، ولقد بينا هذا المفهوم في النقطة السابقة وماجاء في مجلة أكاسيا الماسونية التي ذكرت بأن الماسونية عليها أن تُهيأ للثورة الماركسية كما هيأت الجو للثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وقامت الشيوعية والصهيونية في إدخال نظريات هدامة للتأثير على الناشئة لينشأوا نشأ ضعيفاً لايُعتَمَد عليه كما أنهم أفشوا التحلل الخلقي والنظريات التخريبية للتأثير على المجتمع والدين والأخلاق.[١]

ولو نأخذ الشيوعية على مستوى الاتحاد السوفيتي والبلدان التي احتلتها الشيوعية لرأينا ما فعلته بالمسلمين أنذاك وما لحق بالمسلمين من عذاب وتقتيل وتشريد واستئصال للملايين منهم في تلك البقاع، حيث يحدثنا التاريخ عن إجرامهم الذي لم يستثنى منه حتى الأطفال الأبرياء فهم لم يُستثنَوا من رصاصهم، وأما من نجا منهم من القتل ولم يستطيع الفرار فقد أذلتهم

١ – انظر (أحمد عبد الغفور، عطار، الشيوعية وليدة الصهيونية، ص ٩٦ – ١١٤)، وانظر (ناصرعبد الله القفاري، مصدر سابق، ص٩٢)، وانظر (عباس محمود، العقاد، مصدرسابق، ص١٠).

وأرغمتهم على اعتناق الشيوعية، كما اتبعوا طريقة شيطانية للقضاء على الروح الدينية في الأطفال فكانوا يجمعونهم في مخازن كبيرة في كل المدن الإسلامية المحتلة من الشيوعية ويقولون للأطفال هل الله موجود؟ ثم يتم تجويعهم حتى يتلوون من الجوع، ثم يقولون لهم لو كان الله موجود لأعطاكم الطعام، ويتم تلقينهم بأن ستالين[1] هو الإله، كما أن الشيوعية قطعت كل صلة بين المسلمين في الاتحاد الروسي وإخوانهم خارجه وقضت على الروابط الروحية والثقافية بين مختلف القوميات واللغات والأجناس، فقد أرادت أن تمحو منهم كل شعور ديني نحو إخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى، ولأن مبدأهم ضد الدين فبدأوا بشن حملة على الإسلام، فأصدرت عام ١٩٣٣م قانوناً يقضي بعدم أستعمال الحروف العربية وفرضت عليهم أتخاذ الحروف اللاتينية واللغة الروسية وأدابها وثقافتها الإلحادية عوضاً عن العربية والثقافة الإسلامية، لكي يقطعوا صلتهم بتأريخهم وبلغة القرآن، ومنعوا من تعليم

---

١ – جوزيف فيساريونوفيتش ستالين: ملحد، كان شديد الكراهية للإسلام والمسلمين، كان القائد الثاني للثورة البلشفية الشيوعية في الاتحاد السوفييتي ورئيس الوزراء وكان الذراع اليمنى للزعيم لينين، عاش فترة (١٨٧٨م – ١٩٥٣م) عُرف بقسوته وإجرامه، وُلد ستالين في مدينة غوري الروسية لإسكافي يدعى فيساريو، وأمه فلاحة تدعى "إيكاترينا". كانت عائلة تعيش في وضع اجتماعي يدعى القنانة وهو حالة من الرق أو العبودية. قد تسبب ستالين بوفاة اكثر من ٥٠مليون إنسان بين عامي ١٩٢٧و ١٩٥٣، وقد ثبت بالإحصائيات الروسية أن ستالين وحده قتل ١١ مليون مسلم، هذه المجازر بدأها ستالين قبل الحرب الثانية بفترة طويلة ولكنها ظلت سراً حتى فضحها خلفه نيكيتا خروتشوف عام ١٩٥٦، فقد تفوق ستالين على أستاذه لينين في قتل السكان وترحيل الاعراق والنفي. راجع)حلمي القمص يعقوب، رحلة إلى قلب الإلحاد، ص١٠٥).

القرآن ومبادئ الدين وعملوا على نشر الإلحاد بينهم ما استطاعوا، ولم تقتصر معاناة المسلمين في تلك الفترة على إرسال رجالهم إلى معسكرات الموت، بل بدأ ستالين الذي كان الآمر الناهي في تلك الفترة بإبادة الملايين من المسلمين وإغلاق المساجد، فلقد قامت روسيا الشيوعية بإقفال المساجد وتحويلها إلى مخازن ولا سيما في منطقة آسيا الوسطى حيث قام الشيوعيون بإحراق القرآن والكتب الدينية وقتل رجال الدين ومصادرة الأوقاف، وهجومهم على المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب، وقاموا بتحويل اكثر من ثلاثين الف مسجد وجامع كبير إلى دور لهو واصطبلات وحانات، كما حولت الصين الشيوعية في تركستان أكثر من عشرين ألف مسجد إلى ما حولت روسيا، وقتلت ملايين المسلمين، وحرموا المسلمين من حقوقهم الدينية مع أنهم يزيدون على أربعين مليون في ذلك الوقت مقسمين على خمس ولايات في روسيا وحولها، حيث كانت الأقطار الإسلامية التي نكبت بالاحتلال الشيوعي الروسي الصيني وقتها أكثر من مائة مليون مسلم[1].

ولم يكف الشيوعية كل ذلك بل تحدت الله جل جلاله تحدياً سافراً من جميع أذاعاتها ففي شهر محرم عام ١٣٨٠ هجري كانت تتحدى الله وتقول: «ها نحن أولاء ننكر وجودك ونقتل من يعبدك فإن كنت موجوداً فأثبت وجودك بالانتقام منا»[2].

---

١ – انظر (عباس محمود العقاد، مصدر سابق، ص٦٤ – ٦٦).

٢ – عباس محمود العقاد، مصدر سابق، ص١١٩.

كما لم تقف الشيوعية في حدود الأقطار التي سيطرت عليها بل اتجهت إلى العالم العربي والإسلامي وبدأت تتأمر على الإسلام والمسلمين في أفريقيا وأمريكا وأسيا، وأخذت تستفحل في أقطار العرب والمسلمين التي أصبحت نهباً للشيوعية والصهيونية والصليبية، كما سقطت عواصم إسلامية كبيرة في يد الشيوعية التي لاتغفل عن تنفيذ مخططها وهو القضاء على الإسلام، حيث كانت ظروف العالم العربي السياسية تجد للدعوة التي تروج من قِبَل الدعاة باسم الحرية والإنسانية والعدالة أذاناً صاغية وقلوباً متفتحة، ووجدت الشيوعية فرصة سانحة في العالم العربي لدى بعض الشباب الخالي ذهنه من أية معلومات عن الماركسية وكان العالم العربي غارقاً في المشاكل الصعبة المعقدة الكبيرة وبالاستعمار الغربي وحكمه الجائر وغدره وفي هذه الظروف وفدت الشيوعية إلى العالم العربي يحملها اليهود، وذلك بإرسال شخصيات إلى تلك البلدان لنشر هذا الفكر المقيت، حيث كانت عِداء الشيوعية للإسلام أشد من عدائها لأي دين[١]، فأوجدت الشيوعية لنفسها خلايا ومراكز وأحزاب في داخل البلدان الإسلامية غير الشيوعية لضرب الإسلام فأصدرت رسائل وكتيبات ملأتها بالطعن في الإسلام ورسوله الكريم محمد(ص) لتشكيك الناشئة المسلمة في دينها وتمهيداً لتحويلهم إلى الشيوعية. وأن من أسباب اتباع الشيوعية وتقمص مذهبها الإلحادي من قبل المسلمين وأبنائه كان هو الجهل بدين الإسلام، فمن الأسباب التي أدت إلى قيام الشيوعية في الدول

---

١ – انظر (ناصر عبد الله القفاري، وآخرون، مصدر سابق، ص٩٠ – ١٠١).

الإسلامية الإنقلاب الصناعي وماقام به الشيوعيون من بحث علمي جاد مستند على أدلة صار سبباً لاغترار كثير من الخلق بهم خصوصاً أن حال المسلمين في تلك الحقبة وماهم عليه من الضعف والهوان وما تسلط عليهم من حكام حريصة على تدعيم كراسيها ولو على حساب الدين مما جعل اكتساح الشيوعية بمذهبها الإلحادي سهل يسير، فتحكمت ببعض الدول الإسلامية عن طريق عملائها وأسست أحزاباً في مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن وسوريا والجزائر واليمن وغيرها. وبعد ذلك سقطت الشيوعية وهوت واندثرت بعدما أحدثت ما أحدثته من بلايا وماجرته على البشرية من رزايا، وبعد أن أخذت مأخذها من الإسلام والمسلمين وتركت آثاراً وخيمة في القلوب والعقائد، وأن الذين آمنوا بالشيوعية من أبناء المجتمعات الإسلامية والعربية يوم انكشفت لهم حقيقتها نفضوا أيديهم منها[١].

لقد اتضح من خلال ما مضى أن الشيوعية الماركسية مذهب إلحادي لايومن إلّا بالمادة ولا يعترف إلّا بالمحسوس، فهي تناقض العقل الصحيح وتنافي الفطرة في إنكار الخالق ودعوى أن الطبيعة موجدة لنفسها أو أنها وجدت صدفة، ولقد عجز الشيوعيون عن تطبيق المساواة وإسعاد المجتمع وكان النقص والخلل والاضطراب حليف سياستهم، فإن دعوتها كانت تقوم على الإجرام والقتل وكثرة المشاكل والخلافات بين أرباب الشيوعية، أو بين دول

١ - انظر (محمد بن إبراهيم، الحمد، مصدر سابق، ص٤٩ - ١٤٥).

المعسكر الشيوعي نفسه، مما يدل على بطلانها وزيفها.

إن الشيوعية كانت مذهب كفري باطل، ومنافية للإسلام والدين وهدم للمثل الإنسانية والقيم الأخلاقية وكان لها دور كبير في نشر الإلحاد في المجتمعات الإسلامية وتوريط أبناءه، وبتسديد وتأييد من الصهيونية اليهودية حيث دعت إلى ما ينافي الأخلاق من الإباحية والرذيلة والقضاء على الحياة الأسرية.

المبحث الرابع:
العامل الثقافي

إن وسائل الاتصال والإعلام الدولية وشبكة الانترنت التي أحدثت طفرة عظيمة في عالم الاتصال والإعلام والبث وأنماط التعليم بما اشتملت عليه من مصادر معرفية تفوق الحصر ومع كل ما قدمته من منافع إلّا أنها حملت الكثير من الأخطار التي بدأت بتهديد ثقافة المجتمع وأمنه وعقيدته وذلك من خلال ما تحمله هذه الشبكة من أفكار هدامة وترويج للانحراف الأخلاقي والعقائدي.

فالعولمة مصطلح ظهر وانتشر بعد ظهور النظام العالمي الجديد وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية لزعامة العالم باعتبارها أقوى دولة فيه، وأكثر دول العالم تفوقاً في المجال العلمي والتقني، وبعد انتهاء الحرب الباردة، تفكك الاتحاد السوفييتي الذي كان يشكل القطب الثاني في زعامة العالم، وتم انتهاء سباق التسلح، وأن أول ظهور لمفهوم العولمة كان في القرن ١٩ الميلادي، إلّا أنّ هذه الفكرة الجديدة لم تكن تلقِ ذلك الاهتمام أو الترحيب الكبير أنذاك ولكن وبعد فترة من الزمن وبعد أن تطورت التكنولوجيا بشكل أكبر مما سبق – وذلك في أواخر عقد الثمانينيات من القرن العشرين – أصبحت جزءاً أساسياً في حياة الناس مما لا يمكنهم الاستغناء عنها، حيث شهدت هذه الفترة ظهور شبكة الإنترنت التي اكتسحت العالم واكتسحت حياة الناس على مدى عقدين.

فلقد عُرِفَت العولمة بأنها نظام عالمي جديد يقوم على العقل الألكتروني والثورة

المعلوماتية القائمة على الإبداع التقني غير المحدود ودون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم.[1]

ويقول الباحث محمد الزغبي:

«ورغم إنَّ الهدف المعلن للعولمة هو خدمة البشرية عامة، وذلك بتوحيد المصير، وإزالة الحواجز الجغرافية، وإشاعة القيم الإنسانية وحمايتها، وتوحيد الجهود لتحسين حياة الإنسان عن طريق نشر التقنية الحديثة من مراكزها في العالم المتقدم إلى أقصى أطراف الأرض، والمساعدة في حل مشكلات جميع الدول حباً في الخير للإنسانية، ولكن ما خفي كان أعظم، فأهداف العولمة الحقيقية هي رغبة المجتمع الغربي وعلى رأسه أمريكا في محو الهويات المختلفة للمجتمعات وتكريس الهوية الغربية»[2].

حيث يعد البعد الثقافي للعولمة من أخطر أبعادها، فهي تعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير ثقافة واحدة وإحلالها محل الثقافات الأخرى، مما يعني تلاشي القيم والثقافات القومية وإحلال القيم الثقافية للبلاد الأكثر تقدماً محلها، وخاصة أمريكا وأوروبا.

وكما ذكر الرقب في بيان آثار العولمة قوله:

«والعولمة ببعدها الثقافي من خلال انتشار الأفكار والمعتقدات والقيم

---

١ – انظر (صلاح ياسين محمد، وآخرون، التأثيرات السلبية والإيجابية للعولمة في القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، ص٥٠٦ – ٥٠٩).

٢ – د.محمد مصلح، الزغبي، العولمة الثقافية وأثرها على الوطن العربي، موقع شذرات الإلكتروني http://www.shatharat.net.

والقناعات وأنماط الحياة والأذواق ذات الصبغة الغربية على الصعيد العالمي، عن طريق الانفتاح بين الثقافات العالمية بفعل وسائل الاتصال الحديثة، والانتقال الحر للأفكار والمعلومات قد شكلت تهديداً للهوية الثقافية الإسلامية وما يرتبط بها من أخلاق ومبادئ».[1]

وقد ذهب كل من الألمانيين هانس بيترمارتن، وهارالد شومان، صاحبا كتاب فخ العولمة إلى أنّ «العولمة هي عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد، في التغيير والأكل والملبس والعادات والتقاليد»[2].

فبعد انتهاء الاتحاد السوفيتي، ما لبث أن وجد الغرب الرأسمالي عدواً جديداً ألا وهو الإسلام وهذا يظهر في العديد من الكتابات بل وحتى في الخطابات الرسمية وغير الرسمية حيث يقول هنري كيسنجر[3] في خطاب ألقاه أمام المؤتمر

---

١ – صالح حسين سليمان الرقب، العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها، ص٤.

٢ – أ.وارم العيد، البعد الثقافي للعولمة وأثره على الهوية الثقافية للشباب، ص١٠.

٣ – هنري ألفريد كسنجر والأصح هاينز ألفريد كسنجر، ولد عام ١٩٢٣ في فورت، بافاريا، جمهورية فايمار باحث سياسي أمريكي وسياسي ألماني النشأة، وبسبب أصله اليهودي هرب هو وأهله في عام ١٩٣٨ من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية خوفاً من النازيين الألمان. التحق بمعهد جورج واشنطن في نيويورك وحصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٨ والتحق بالجيش في نفس العام. شغل منصب وزير الخارجية الأمريكية من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٧ في عهد الرئيس جيرالد فورد، وكان قبلها، مستشار الأمن القومي في حكومة الرئيس ريتشارد نيكسون. لعب دوراً بارزاً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة مثل سياسة الانفتاح على الصين وزياراته المكوكية بين العرب وإسرائيل والتي انتهت باتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨. عيّنه الرئيس رونالد ريغان في عام ١٩٨٣ رئيساً للهيئة الفيدرالية التي تم تشكيلها لتطوير السياسة الأمريكية تجاه أمريكا الوسطى، وأخيراً قام الرئيس جورج بوش (الابن)

السنوي لغرفة التجارة الدولية بأن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتاها هي العالم العربي الإسلامي باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب.

وهذا ما أكده الأمين العام للناتو حلف شمال الأطلسي[1] ويلي كلايس الذي وصف الأصولية الإسلامية في خطاب رسمي له بأنها: «أعظم خطر راهن يواجه الحلف»[2]، ومن خلال التصريحين السابقين يتضح لنا أن الإسلام مستهدف، خاصة أن بعض الجماعات والحركات التي تدعي الإسلام تتيح للغرب استهداف الإسلام، وعلى أي حال نلاحظ أن العالم الإسلامي الآن بدأ يعاني العديد من المشاكل والتي أصبحت تتفاقم في ظل العولمة، فإن الاطلاع على ثقافات وأفكار جديدة عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي قد ساهمت فى القدر الأكبر من هذه المشكلة، حيث انتشرت هذه الأفكار

بتعيينه رئيساً للجنة المسؤولة عن التحقيق في أسباب هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، راجع (عاطف أحمد عمران، مذكرات هنري كيسنجر، ج١، ص٨ – ١٠).

١ – هي منظمة تأسست عام ١٩٤٩م بناءً على معاهدة شمال الأطلسي التي تم التوقيع عليها في واشنطن في ٤ ابريل سنة ١٩٤٩ حيث يوجد مقر قيادة الحلف في بروكسل عاصمة بلجيكا، وللحلف لغتان رسميتان هما الإنجليزية والفرنسية. الدور الرئيسي لهذا الحلف هوحراسة حرية الدول الأعضاء وحمايتها من خلال القوة العسكرية، ويلعب دوره من خلال الأزمات السياسية، وكل الدول الأعضاء فيه تساهم في القوى والمعدات العسكرية التابع له مما ساهم في تحقيق تنظيم عسكري لهذا الحلف. هناك دول ذات علاقات ممتازة بحلف الناتو إلا أنها ليست جزءاً منه رسمياً وتعرف بالحلفاء الرئيسيين لحلف الناتو. راجع (هبة الطباع، حلف الناتو، http://mawdoo3.com).

٢ – د.سيف صفاء عبد الكريم، مقال العولمة والإسلام، موقع الألوكة الثقافية، http://www.alukah.net.

بين الشباب بلا حسيب أو رقيب، وانفتح الشباب على ثقافات وأفكار غريبة ومختلفة بصورة مفاجئة، ومن بينها تلك التى تبث أفكار التشكيك والإلحاد، عن طريق بث الشبهات حول القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ومسائل القضاء والقدر، والحكمة والتعليل فى أفعال الله عز وجل، والطعن في بعض أحكام الشريعة الإسلامية، فوافق كل ذلك قلوباً خاوية أو ضعيفة الإيمان فتمكنت منها، إلى جانب بعض القنوات التى تنشر لأفكار الإلحاد، لما تتبناه من الدفاع عن حرية الرأي، وأيضاً لا يخفى أن وجود المواقع الإباحية بدورها السلبي الأكبر الذي يتمثل في نشر الشهوات مما يضعف الوازع الديني لدى المرء، ويكون أكثر عرضة لقبول ما يخالف تعاليم الإسلام من معتقدات أو أفكار، فإن ضعف العلم والثقافة الإسلامية الصحيحة أحد الأسباب التي أوقعت الكثير من الشباب والمسلمين في مطبات الإلحاد، وأن مواقع التواصل الاجتماعي المتعددة أسهمت في توفير مساحات آمنة للشباب للتعبير عن آرائهم ووجهة نظرهم في رفض الدين فالأمية الدينية خطر كبير، وخاصة في ظل الانفتاح الثقافي ووسائل العولمة وثورة التقنيات الحديثة والاتصالات السريعة، التي أدت إلى سرعة انتشار المعلومات والأخبار بغثها وسمينها، وقربها من متناول الأيدي، مع كثرة المواقع المشبوهة، وكثرة ما يبث من شبهات عبر مواقع تواصل عالمية، تساهلت حتى مع الشتم البذيء والازدراء الفاحش الذي يصدر من المتهجمين على الذات الإلهية وعلى ذوات الأنبياء والمرسلين، وكما أن الإلحاد قد يصادف قلباً خاوياً فيتمكن منه فقد يصادف أيضاً عقلاً خاوياً فيفتك به، وقد وقع العديد من المسلمين

بسبب ضعف المناعة العلمية والدينية ضحية لأفكار تمهد للإلحاد أو تقود إليه أو توقع فيه. وأن خروج الملحدين في المنطقة العربية والإسلامية من الظلّ وتزايد أعدادهم والحديث عنهم يُعزى إلى ظهور مجموعات عدّة على شبكات التواصل الاجتماعي والتي بدأت منذ منتصف عام ٢٠٠٠م وما زال الوجود الإلكتروني إلى تزايد، كما أن وراء الإلحاد الجديد أبعاد سياسية أهمها الترويج للإسلام فوبيا[١]، وذلك حسب تصريح زعيم الملاحدة الجدد ريتشارد دوكنز[٢] حيث قال: «إن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حولته من ملحد مسالم إلى ملحد أصولي ضد الإسلام»[٣].

كما أن الغزو الإعلامي قد لعب دوراً كبيراً في الانحرافات العقائدية فمنذ أوائل القرن العشرين الميلادي بدأ تنفيذ مراحل الغزو الفكري للحياة الإسلامية بشكل جاد وتطبيقي عن طريق الإعلام الذي تمثل في معطيات الصحف والمجلات والتي تخضع لتوجيه وكالات أنباء ومؤسسات فضلاً عن الإذاعة الهوائية التي تبث برامج روائية وقصصية تنمي اتجاهات غريزية وميول عدوانية وعنصرية بين طبقات المجتمع الإسلامي، هذا وأخبار الجريمة وقصصها وصور المجتمعات الغير إسلامية المنقولة في الصحافة عبر الفوتوغرافيا أساليب إعلامية شدت انتباه أجيال من المسلمين فربطت بينهم وبين هذه

---

١ – انظر (د.عمرو شريف، وهم الإلحاد، ص٣ – ٢٩).

٢ – تم تعريفه مسبقا في المبحث التأريخي.

٣ – ريتشارد دوكنز، ترجمة بسام البغدادي، وهم الإله، ص٨٠.

الأساليب العصرية التي ساقت لهم أفكار وممارسات يمكن أن تعمق إعجابهم بالغرب وذلك لعزلهم عن الجو الإسلامي، ومنذ أن عرف العالم الإسلامي الإذاعة المسموعة ثم المرئية وبدافع من العزلة التي يغيب فيها العقل الإسلامي اندفعت قطاعات عريضة من المسلمين وراء هذه الأساليب المثيرة في نقل المعلومة وسوق الخبر الذي يستهدف به الإعلام الغير إسلامي عقل الأمة وفكرها فضلاً عن حجبها عن دينها.

إن الإسلام لايتعارض مع كون الإنسان يطلع على ثقافات شعوب أخرى ولا يحجم حقوق الإنسان في المعرفة والاختلاط ولم يكن ديناً استبدادياً يوماً ما إطلاقاً، بل أعطى الحرية الواسعة للفرد للتفكر والعلم والتعلم، وأن الحضارة الإسلامية تقبل بالحوار والجدل المنطقي ففيها من المرونة ما يجعلها قابلة للانفتاح على ثقافات العالم خاصة إذا كان التحاور يقوم على حرية التواصل والاحترام بين الثقافات العالمية، وفي الكثير من نصوص القرآن الكريم ما يؤكد على ذلك كما في قوله تعالى {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[1]، إلا أن الإسلام لا يمكن أن ينسجم مع مصطلح الديمقراطية بالمفهوم الغربي، وهذا لا يعني أن الإسلام ديكتاتوري لكن الإسلام له خصوصيته فلا يمكن تأطيره وقولبته بالقالب والإطار الذي يريده الإنسان، ذلك لأنه دين سماوي رباني يعلم بما يصلح البشر وعالم بضعف الإنسان، وما يضره ويريد أن يرقى

---

١ - الحجرات، آية ١٣.

بالإنسان إلى مستوى الإنسانية وليس البهيمية[1].

وبذلك يتضح أن من أهداف العولمة الثقافية هو:

١ – اختراق المجتمعات العربية والإسلامية، وزرع القيم والأفكار الثقافية للقوى المسيطرة في أبناء العالم العربي والإسلامي.

٢ – التأسيس لهوية ثقافية وحضارية للمجتمعات العربية والإسلامية بعد إسقاط عناصر الممانعة والمقاومة لديها.

٣ – فرض سياسة إعلامية قادرة على إعادة صياغة الأخلاق والقيم والعادات وفرض هيمنة ثقافية جديدة تصبّ في مصلحة الدول الغربية.

إذ إن الانفتاح السريع والمفاجئ على الثقافة الغربية وعدم استيعاب الشباب للمثل الإسلامية والقيم الاجتماعية والذي يؤدي بهم إلى التقليد التلقائي للإنسان الغربي في عاداته وتقاليده وسلوكه، أحد الأسباب الرئيسية للإلحاد، حيث إن العقيدة هي الحصن الواقي من التردد الفكري والأخلاقي وهي بذلك تعد هدفاً للتشكيك من قبل جهات كثيرة في زمن العولمة التي تستهدف إزالة جميع الحواجز وهدم كل التحصينات العقيدية والثقافية حتى يتسنى لها اجتياح العقول والنفوس.

---

١ – انظر (صالح حسين سليمان، الرقب، مصدر سابق، ص٩ – ١١)، وانظر (عائشة علي مسعود، الزوي، الأنترنت يهدد حياتنا، ص٣ – ١٦).

المبحث الخامس:

العوامل النفسية والاجتماعية

من خلال الدراسات والإحصائيات لأسباب الإلحاد في المجتمعات الإسلامية يتضح أن أغلب الحالات كانت بسبب دوافع نفسية وعائلية واجتماعية[1]. وعلى الرغم من أنها تبدو مسألة دينية عقيدية إلا أن الأبعاد سالفة الذكر تكون كامنة ومحركة لسلوك صاحبها حتى دون أن يدري، وكأنه يختزل كل صراعاته ومعاناته ومشاكله في الشكل الديني، ولهذا نجد أن الكثير من حالات الإلحاد لدى الشباب لا يجدي معها الحوارات الدينية ولا يجدي تقديم الأدلة والحجج والبراهين، لأن الأصل في المشكلة ليس دينيا، بل إن تقديم الحجج والبراهين الدينية من جانب بعض العلماء والوعاظ الذين لا يدركون عمق حالة الإلحاد قد يغري الملحد بالكثير من الجدال لإثبات قدرته على إفحام محدِّثه وتحقيق انتصارٍ على الرموز الدينية التي يكرهها وعلى المجتمع الذي يرفضه وعلى السلطة التي يتمرد عليها، ولهذا يجب أن تدرس كل حالة إلحاد على حدة، ويتم التعامل معها على أنها حالة متفردة لها خصائصها المميزة من حيث النشأة والظروف البيئية والأحوال النفسية، وهناك من وقع في فخ الإلحاد عن جهل، أو كنتيجةٍ لموقفٍ عاطفي أو صدمةٍ نفسيةٍ، أو متأثراً ببعض الشبهات العلمية أو الدينية التي جذبته وخصوصاً في سن المراهقة والشباب، وبمجرد زوال شبهاته أو إفاقته على حقيقة الأمر

---

١ – انظر (د.عمرو شريف، تقديم د.أحمد عكاشة، الإلحاد مشكلة نفسية، ص٢٩٤ – ٢٩٨).

يعود إلى الإسلام.[1]

فالعوامل الاجتماعية هي تلك العوامل التي تنبع من المجتمع المحيط بالملحد في الأسرة والمدرسة والجامعة والعمل والأصحاب وغيرها حيث يرى علماء الاجتماع أن الإلحاد هو حالة من الخلع الاجتماعي عندما يمر الإنسان بثلاث مراحل وهي "الاجتماعية العامة" حيث ينتمي الشخص لعموم الناس وتكون فكرة الدين مقبولة لديهم ولديه، والمرحلة الثانية هي "الاجتماعية الخاصة" وفيها ينتمي الشخص إلى مجموعة خاصة تقبل أو تشكك أو ترفض الدين، والمرحلة الثالثة هي الخلع التام حيث ينكفئ الشخص على ذاته ويتبنى قناعة شخصية ذاتية تماما ليس لها علاقة بالسياق الاجتماعي.[2]

ومن تلك العوامل الاجتماعية والنفسية المؤدية للإلحاد هي:

١ – غياب المنهج الإسلامي

إن غياب المنهج الصحيح ألا وهو الدين الإسلامي عن ساحة المجتمعات الإسلامية بشكل لايوفر لأفراده المناعة أو الحصانة ضد الأفكار المخالفة بما فيها الإلحاد وأطروحاته، وتقصير المسلمين في أداء رسالتهم وهذا قد يكون بسبب انخفاض مستوى العلم بالدين والتفقه فيه هو أحد الأسباب الرئيسية لتفشي الإلحاد فيه، حيث أن انخفاض مستوى التديُّن في المجتمع حتى أمسى

---

١ – راجع مقالة(د.محمد المهدي، رئيس قسم الطب النفسي، الشباب لماذا يلحدون وكيف يعودون (http://www.elazayem.com).

٢ – راجع مقالة (د.هشام عزمي، الإلحاد في العالم العربي، http://www.braheen.com.

الإسلام عند كثير من المسلمين إسلاما تقليدياً موروثاً والذي يصحبه انخفاض في مستوى الالتزام بالطاعات والسلوكيات بين الناس جعل المجتمع يفتقر للعقائد الدينية، فإذا كان المجتمع الخارجي غير قادر على مواجهة الأفكار المنحرفة وليس لديه مواكبة للأطروحات الثقافية والعلمية الجديدة والتحديات التي يفرضها العصر والأوضاع الاجتماعية المستحدثة، فمثل هذا المجتمع الهش دينياً يسهل على أفكار الإلحاد أن تتسرب بيسر إلى عقول وقلوب الناس لاسيما الشباب منهم، فقد ظهر الإلحاد اليوم ورفع رأسه حتى أن بعض الحكومات صارت تضع قوانينها الدستورية في عبارات لايرى فيها الملحد قيد يكفُّه عن إعلان إلحاده أو الدعوة إليه كما يشاء، وكلما دخل قانون على ديار المسلمين أسقط قباله حكماً شرعياً حتى أنه لم يبقى للمسلمين الأ بعض الأحكام الشرعية كالأحوال الشخصية والتي تخص عقود الزواج والمهر والشهود. كما أن النظام التربوي يشكِّل العمود الفقري للمجتمع فإذا صلح فسوف ينعكس على صلاح المجتمع لذلك فإن ضعف النظام التربوي قد يؤدي إلى سلوكٍ منحرف لدى النشأ وضعف الحصانة لدى الأفراد من شرور الأفكار الملحدة التي يبثها الغرب في بلاد المسلمين، فينشأ الشخص في بيتٍ خال من الأداب الإسلامية ومبادئه، أو يتصل بملحد فاسد العقيدة فيؤثر عليه ببراعة لسانه فتخبت بذلك عقائد وأخلاق أبناء ذلك المجتمع الإسلامي.[1]

---

١ – انظر (محمد الخضرحسين، الإلحاد، ص٨)، (د.هشام عزمي، الإلحاد للمبتدئين، ص٣٩)، «عبد

٢ – الافتتان بالحضارة الأوروبية المادية

إن افتتان شعوب الأمة الإسلامية بالحضارة المادية الأوروبية والدول المتقدمة وتطلعهم إليها وأنبهارهم بمنجزاتها وتقليدهم لها وتوهمهم بأن التقدم الحضاري المادي هو مظهر للتقدم في كل مايضمن سعادة الناس في الحياة ويوفر لهم نُظُماً اجتماعية مختلفة، حيث فتح العلم المادي للناس أبوباً عظيمة من أبواب الرفاهية والترف ومغريات الحياة، مما وفر مناخا ملائما جداً لزحف كل مالدى الغربيين من سلوك وأفكار وعادات مناقضة لمبادئ الإسلام ومفاهيمه وشرائعه وأخلاقه ونظمه وسائر تعاليمه الحقة، كما أن ما توصل إليه الملاحدة من اكتشافات علمية كانت سبباً لأن يقارن الإنسان المسلم المنبهر بالغرب بين تقدم الغربيين الكفار وتأخر المسلمين، وقد تكون هذه المقارنة دافعاً لفقدان الثقة في قدرة الإسلام على تحقيق التقدم والنهضة. والحقيقة أن التقدم والتخلف له علاقة بالاجتهاد والسعي والعمل، وليس الإسلام سببا للتخلف بل إن الإسلام يلزم بالأخذ بأسباب العلم والبحث العلمي والتسابق فيه، فالعلم سبب من أسباب القوة التي أمر الله عز وجل بالأخذ بها، ومع انعدام التجربة وانبهار المغلوب بالغالب وشعوره بنقصه تجاهه واندفاعه لتقليده على غير بصيرة تصبح التصورات الخاطئة هي المسيطرة على النفس والفكر وعندئذ تكون النفوس غير مستعدة لتقبُّل أي بيانات تصحيحية

العزيز سعد، المحمدي، الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة منه، ص١٢٣ – ١٢٨)، (عبد الرحمن حسن الميداني، كواشف زيوف، ص٩٣).

تميّز بين الحق والباطل والخير والشر، خصوصاً عندما تستخدم هذه النظريات لترويج الإلحاد مثل نظرية التطور[1] التي تم الترويج لها على أساس أنها حقيقة قطعية يقينية وأنها العلم الذي لايقبل الخلاف، كما يتم الترويج للنظريات الحديثة في نشأة الكون على يد العالم الفيزيائي ستيفن هوكينز، وعندما تتعارض هذه النظريات مع الدين يكون دليلا عند القوم على بطلان الدين وخرافاته، مما جعل علماء المسلمين العمل بالتحدي لمواجهة هذه النظريات العلمية وذلك بردها والتصدي لها وفق مناهج الإسلام.[2]

٣ – الإفراط في الحرية الفردية

إن أكبر سبب للإلحاد في التاريخ البشري هو الرغبة في التخلص من القيود التي تفرضها الأديان على الناس خاصة الأشخاص الذين يكرهون أية قيود مهما كان مصدرها ومهما كانت درجتها ويرغبون في الانطلاق في حياتهم بتوجيه عقولهم وخياراتهم الشخصية، والإفراط في الحرية الفردية إلى درجة التكبُّر، والرغبة في التحلل من التكاليف الدينية والقيود الاجتماعية،

---

١ – نظريةالتطور وهي نظرية داروين، التي جُعلت ذريعة للإلحاد، قد أُلِّفَ الكثير في زيفها وبطلانها، فما هي إلا أوهام وتخيلات، إلا أن الملاحدة يعتقدون بها اعتقاد الأعمى، حتى أصبحت مذهباً لأهل الأهواء منهم، كما تسمع (بالداروينيين) أو (الدراونة الملحد يفضل الإيمان بنظرية داروين وإن كانت تنص على أن الإنسان والقرد من أصل واحد، يفضل ذلك على الإيمان بالخالق الثابت بالعقل والفطرة حتى يرتاح من التكاليف، ويرد أي دليل علمي يثبت قضية الخلق بحجة أن ذلك يتوافق مع الدين، قال عز وجل {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فإن لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً}، طه، ١٢٤.

٢ – انظر (د.هشام عزمي، مصدر سابق، ص٤٥)، (عبد الرحمن حسن، الميداني، مصدر سابق، ص١٠٠).

والانسياق وراء الهوى واللامبالاة، مما يضعف الوازع الديني لدى المرء مع رفض مبدأ الأمر والنهي، ثم التحررمن تلك القيود، والعيش كما يريدون ويحبون بانفتاح تام على الشهوات، وإشباع الاحتياجات الجنسية التي يضع المجتمع أمامها عراقيل من العادات والتقاليد والقيم الإسلامية، فيجد في الإلحاد وسيلة لإشباع هذه الرغبة، ويتصور أنه هو مالك هذا الكون ينظِّم حياته كما يريد، وهذا أمر شديد الجاذبية لدى المراهقين والشباب، فيكونون أكثر عرضة لقبول ما يخالف تعاليم الإسلام من معتقدات أو أفكار وإشباع رغبته بالشعور بأنه الأفضل، وأنه فوق الناس في عقله وذكائه وعبقريته، وأن الناس دونه، محاولا إقناع نفسه بأن الإلحاد قمة العبقرية، وأنه لا يبلغه إلا أصحاب العقول الفريدة، وأنه منهم وأن كل من حوله مساكين رجعيون، لأنهم يؤمنون بالقوى الغيبية، ويتعبون أنفسهم بالعبادات، ويحرمونها اللذائذ والمتع، ومثل هذا النوع يتصف بكثرة السخرية والاستهزاء والازدراء بالآخر والاستعلاء بالنفس.[1]

٤ – الجفاف الروحي

من الأسباب المهمة الأخرى هو أن الذين تحولوا إلى الإلحاد كان إيمانهم بالله دون معرفة أو علم سليم بالدين وأحكامه وأسباب اليقين به، كما أنه لم يستشعر لذة العبادة والقرب من الله والأنس بذكره ومناجاته مما يؤدي إلى جفاف شديد في المشاعر الروحانية فيجعل قرار الإلحاد يسيرا على المرء،

---

١ – انظر (د.هشام عزمي، مصدر سابق، ص٢٨ – ٣٣).

كذلك إذا وقع الشخص في أزمة أو ابتلاء أو محنة وهذا الابتلاء قد يؤدي إلى ازدياد الإيمان، أو الاعتراض على قضاء الله وقدره لأن الازمة أو الابتلاء يؤدي بالإنسان إلى مسار من مسارين إما اللجوء إلى الله والتقرب منه أو اليأس من روح الله والمضي في مسار اليأس والتأزم، فهناك من الناس من توجد فيه القابلية للإلحاد، وهذه القابلية قد تكون نفسية أو فكرية، فإذا طرأت أزمة أو ابتلاء أو محنة على الشخص الذي لديه قابلية للإلحاد سوف تحوِّل هذه القابلية إلى إلحادٍ بالفعل.[١]

٥ – انعدام الحصانة الفكرية

إن كثرة مطالعة الكتب والمقالات والفديوهات التي تروج للإلحاد، حيث هناك وفرة في المواد الإلحادية سواء الكتابية أو على شكل فديوهات وأكثرها موجهة للشباب والمراهقين والأطفال من خلال الأفلام والمسلسلات والوثائقيات وأفلام الكارتون، والسعي الحثيث لترجمة هذه الأعمال الإلحادية إلى اللغة العربية، وما تحويه من نبرة الحنق والغضب من الأديان، ويظهر هذا بارزاً في عناوين الكتب «وهم الإله»، «نهاية الإيمان»، «الله ليس عظيماً»، «الدين أصل كل الشرور»، «كيف يسمم الدين كل شيء» وغيرها تعتبر أحد الأسباب المؤثرة في عقيدة الفرد، وذلك لعدم قدرته على الفرز والنقد لكل مايعرض أمامه من أطروحات فيكون هذا الأمر باباً للوقوع في الإلحاد، كأن ينفتح الشخص على ثقافات وأفكار غريبة ومختلفة بصورة مفاجئة، ومن

١ – انظر المصدر السابق، ص٣١ – ٣٤.

بينها تلك التي تبث أفكار التشكيك والإلحاد، عن طريق بث الشبهات حول القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومسائل القضاء والقدر، والحكمة والتعليل في أفعال الله عز وجل، والطعن في بعض أحكام الشريعة، فتوافق قلوباً خاوية أو ضعيفة الإيمان فتتمكن منها، بينما لو تريث حتى يزداد علماً ورسوخاً في القراءة والمعرفة لكان قراره مختلفاً تماماً كما يقول الكاتب هيثم طلعت: «الإلحاد هو حكم سطحي كسول للغاية على قضية عميقة للغاية ممتلئة بالأدلة»[١]، وأيضا مقولة فرانسيس بيكون[٢]: «قليل من الفلسفة يؤدي إلى الإلحاد، والتعمق فيها يؤدي للإيمان»[٣].

٦ – اضطهاد المرأة

إن دعاة الإلحاد يستهدفون المرأة بدعاياتهم الإلحادية بزعم التحرر من سلطة الآباء الذكورية، ومن الاضطهاد الديني في مجتمعها، وأن الإسلام هو سبب اضطهادها وظلمها وغيرها من الشعارات فإذا انضمت إلى هذه الدعاية لما تلاقيه المرأة من اضطهاد وظلم وقهر في مجتمعها أو أسرتها كان هذا داعياً قوياً للوقوع في فخ الإلحاد، وربما يكون هذا السبب مفاجئا، ولكن عدداً غير قليل من الفتيات اللواتي تركن الدين وكان الواقع أو الاضطهاد الذي تعانيه المرأة باسم الإسلام هو شرارة البداية التي جعلتهن يتركن الدين ويتساءلن عن مدى

---

١ – د.هيثم طلعت، موسوعة الرد على الملحدين العرب، ص١٠.

٢ – فرانسيس بيكون: فيلسوف وكاتب إنكليزي.

٣ – د.هشام عزمي، الإلحاد في العالم العربي، مجلة براهين، العدد الرابع، ٢٠١٥، http://www.braheen.com

صحة هذا الدين أو ملاءمته وعدله وأن الإسلام هو سبب اضطهادها وظلمها، فيكون هذا داعياً إلى تركها له[1].

٧ – اضطراب العلاقة بالسلطة

والسلطة هنا قد تكون سلطة أبوية أو أمومية أو مدرسية أو دينية أو سياسية. ويعتبر فشل العلاقة بالسلطة الأبوية أو الأمومية هو الأساس والأصل لاضطراب العلاقة بالسلطة في المستويات الأخرى وصولاً إلى سلطة الإله، فالشخص يصبح لديه حساسية شديدة ورفض وتمرد ضد أي سلطة، فإن المرء ينظر إلى الله سبحانه وتعالى على أنه أب مثالي، وعندما تتشوه صورة الأب الأرضي تختل بالتبعية صورة الأب السماوي مما يؤدي إلى الوقوع في الإلحاد والجحود وإنكار الله، ومن صور هذا الأب المشوه أو المعيب أن يكون ضعيفاً أو غير محترم أو عنيفاً أو قاسٍ أو غير موجود.[2]

٨ – الأمراض النفسية

الاكتئاب هو من أهم الإشكالات النفسية التي قد تجعل الأفكار السلبية والسيئة تسيطر على الإنسان وقد تحدث نتيجة شكوك تربك عقله ولا يستطيع أن يتجاوزها، وربما لايكون الاكتئاب وحده سبباً لذلك ولكن من الممكن أن يكون سبباً مؤثراً وبشكل كبير، فإن للعوامل والظروف النفسية

---

١ – انظر (منير أديب، الإلحاد بين أفكار أصحابه وهجرة أتباعه، ص٩٦)، وانظر مقالة (د.هشام عزمي، الإلحاد في العالم العربي، http://www.braheen.com)

٢ – انظر (د.هشام عزمي، مصدر سابق، ص٣٦ – ٣٧).

التي يمر بها الشخص تأثيراً على حالته الإيمانية، فالأمراض النفسية مثل الفصام[١]، والاضطراب الوجداني[٢]، والاضطراب الضلالي[٣]، واضطرابات التوافق[٤]، تؤثر في تفكير الشخص ومشاعره وعلاقاته بالناس والحياة وقد تجعله يتوجه في بعض الأحيان إلى اعتناق أفكار مخالفة لعموم الناس، أو بالعكس قد تدفع هذه الحالات صاحبها لمزيد من التدين كنوع من الدفاع ضد التفكك أو القلق أو الخوف[٥]، حيث نرى أن هناك أنواع من الشخصيات مثل:

أ – الشخصية الحدية

وهي شخصية متقلبة في مشاعرها وعلاقاتها وإنجازاتها ومعتقداتها، وتكون علاقات المريض بالنّاس مضطّربةً عادةً، وتتأرجح بين الحب والكراهية، فقد

---

١ – الفصام: هو عبارة عن اضطراب في العلاقة المتصلة بالحقيقة حيث يصبح إدراك الشخص متأثرا بشعوره وبوجدانه. والفصام يشير إلى ابتعاد المريض عن الحقيقة وباضطرابات حادة في الحياة الانفعالية. راجع (د.الزين عباس عمارة، مدخل إلى الطب النفسي، ص٤٧٧).

٢ – الاضطراب الوجداني: هو مرض نفسي يتميز بنوبات متكررة من اضطراب المزاج واختلاف مستوى نشاط الشخص المريض بشكل ملحوظ مما يؤثر على حياة المريض. راجع (د.خالد الحليبي، حقيقة الاضطرابات النفسية، ص٥٦).

٣ – الاضطراب الضلالي: ويسمى البرانويا وهو حالة مرضية ذهانية واضطراب وظيفي في الشخصية تتميز بالأوهام والهذيان والمعتقدات الخاطئة. راجع (رضوان زقار، الاضطراب الضلالي، ص١).

٤ – اضطرابات التوافق: هو حالة مرضية من حالات الأكتئاب والأمراض النفسية حيث يصيب صاحبها الكدر أو الضيق والعجز في أداء العمل أو الدراسة مع تغيير مؤقت في العلاقات الاجتماعية. راجع (د.غريب عبد الفتاح، الاضطرابات الاكتئابية، ص٥٣)

٥ – انظر (د.عمرو شريف، تقديم د.أحمد عكاشة، الإلحاد مشكلة نفسية، ص١٢ – ١٦).

يقوم بتمجيد شخصٍ ما في لحظة، ولا يلبث أن يتحوّل بشكلٍ مفاجئ بعد ذلك إلى الغضب والكراهيّة لأن المصابين بهذا الاضطّراب يواجهون صعوبةً في إنصاف الأشياء [1].

ب – الشخصية البارانوية

ويتميز صاحبها بالاستعلاء وسوء الظن والشك في الآخرين واحتقارهم واحتقار معتقداتهم، وهو يستعلي على العامة ويرغب في أن يأخذ طريقاً خاصاً به يتفرد به، ويستعلي على الإيمان ويمكن أن يستعلي حتى على فكرة الإله الرب[2].

ج – الشخصية الهستيرية

وهي شخصية تتصف عادة بميلها إلى حب الظهور واستدرار العطف، وحب الذات وحب التملك، كما يتصف المريض عادة بالمبالغة والتهويل في كل الأمور وتميل إلى المخالفة لجذب الاهتمام ونيل الشهرة [3]، ولذلك فصاحب هذه الشخصية أو صاحبتها يرغب أو ترغب في إعلان الإلحاد والتباهي بذلك ووضع صورهم على صفحات الإنترنت ويرغبان في الدخول في

---

١ – راجع كاثرين وورد، اضطراب الشخصية الحدية، https://www.syr-res.com.

٢ – راجع د. خالد الحليبي، حقيقة الأمراض النفسية، ص٢٤.

٣ – الدكتور أنور حمودة البنا، الأمراض النفسية والعقلية، ص١٢٢.

مناقشات وجدال تجعلهم تحت الأضواء.[1]

من الواضح حسب ماتوصل إليه أكثر الباحثين، أن أغلب الملحدين ليس لديهم أسباب عقلانية للإلحاد، وإنما هي دوافع نفسيةومشاكل اجتماعية، بالإضافة إلى مؤثرات خارجية، وخطط ماسونية تمثلت بشكل غزوٍ فكري كما ذكرناها في المباحث السابقة، وإن معظم الأسباب التي أشرنا إليها في هذا المبحث هي في الأعم الأغلب عبارة عن ردات فعل نفسية وغير كافيةٍ لاتخاذ موقف من الدين بشكلٍ كامل فضلاً عن إنكار الخالق، ولكن هذه هي طبيعة الإنسان الذي يبني مواقفه بناءً على ردود الأفعال، فمن أخطر ما يمكن أن يواجه حياة الإنسان النفسية ويربك استقراره وطمأنينته أن يفقد إيمانه بالله، لأن الإيمان بالله هو ما يمنح هذه الحياة معنى وهدفاً، ودونه يتمزق القلب وتتوه الروح وتغرق النفس في بحار العبثية والعدمية.

١ - راجع مقالة(البراء، العوهلي، لماذا يلحد بعض شبابنا، محاولة لفهم ومقاربة ظاهرة الإلحاد، http://www.almqaal.com)، ومقالة «د.محمد المهدي، رئيس قسم الطب النفسي، الشباب لماذا يلحدون وكيف يعودون، http://www.elazayem.com).

الفصل الثالث

طرق علاج ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية

المبحث الأول: طريق الرجوع إلى الفطرة وإحياؤها.

المبحث الثاني: طريق التسلح بالعلم والمعرفة.

المبحث الثالث: طريق التصدي لدعاوي وشبهات الملاحدة.

المبحث الرابع: الطريق التربوي والأخلاقي لمعالجة ظاهرة الإلحاد.

تمهيد

بعد أن عَرَّفنا ظاهرة الإلحاد وعَرَّفنا أسبابها نأتي الآن إلى كيفية علاج هذه الظاهرة والوقاية منها، فالإلحاد مرض يحتاج إلى وقاية وعلاج كباقي الأمراض، حيث يمر الإسلام والمسلمون في الحقبة الزمنية الأخيرة بأزمة خطيرة، فالإسلام إنما هو دين قد جاء لخير الإنسان على هذه الأرض وإسعاده فيها وتهيئته إلى دار أبدية وإنه يهدي لحياة أفضل، وعقيدته واضحة بأصولها وأهدافها وشرائعه بينة بفرائضها وسننها، كما إنَّ الإسلام لايريد من أحد أن يؤمن به عن جبر وإكراه ولا عن جهل وتقليد بل عن معرفة وقناعة، وبما أنه قد كثر وانتشر الإلحاد في هذا العصر وكثرت وسائله وتنوعت لذا يستوجب أن نبذل مابوسعنا من جهود وعرض ما أمكن من حلول مما قد يقنع أو ينفع للوقوف على المعرفة الحقة.

المبحث الأول:

طريق الرجوع إلى الفطرة وإحياؤها

إن طرق معالجة الإلحاد كثيرة ومتشعبة إلّا أن المعالجة المتعلقة بالفطرة الإنسانية لها وقع مختلف وأثر بالغ لما لها من عظيم القدرة على الوقاية من آفة الإلحاد وعلاجه وذلك لما للفطرة من البداهة والوضوح من أي أمر بديهي، فالإلحاد أمر خارج عن نطاق المألوف والعادة، بل خارج عن نطاق الجبلة والطبيعة التي خُلِقَّ الإنسان عليها، والنفس الإنسانية مفطورة على التوحيد والمبادئ الحقة التي فطر الله تعالى الإنسان عليها، والأصل أن يكون الإنسان مؤمنا بوجود الخالق والإله فلو خلا وهذه الفطرة لنشأ على معرفته وعبادته وحده، وهذه الفطرة أمر خُلقي خُلِق الناس عليها لا تبديل لخلقه، كما في صريح الآية الكريمة: {أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[١].

وبذلك نستطيع القول بأن الفطرة هي أمر تكويني تتعلق بالأمور الإنسانية وهي متأصلة في الإنسان وليست مكتسبة أي أن القيم الإنسانية لها أصول وجذور في تكوين الإنسان فكما أن الأخلاق الحسنة أو الإنسانية تقابلها الأخلاق السيئة أو اللاإنسانية كذلك الدين والعبادة فهو شيء نابع من داخل الإنسان وذاته وليست من الضرورات المفروضة عليه.[٢]

---

١ - الروم، ٣٠.

٢ - انظر (مرتضى مطهري، الفطرة، ص٢٤ - ٢٥).

لكن المؤثرات البيئية والظروف الاجتماعية والتربوية المحيطة بالإنسان قد تستطيع أن تحجب تجلّي الفطرة أو تعكرّ صفوها، لكنها بالتأكيد لن تطمس ضياءها، ورغم وجود حالات فردية أو جماعية تحاول التمرد على المتطلبات والمقتضيات الفطرية سواءً الاعتقادية كالتمرد على فطرة الإيمان بالله ومحاولة جحوده وإنكار وجوده، أو السلوكية منها، إلّا أن الفطرة سرعان ما تستفيق لدى أدنى انعطافة أو محطة تأملية، وكما جاء في مقالة الدين والفطرة قوله:

«لقد عملت الشيوعية على تربية الملايين من الناس على الكفر والإلحاد، وخنقت صوت الدين والمتدينين، لكن ما حصل أنه وبمجرد انهيار نظام القمع عادت المآذن لتصدح بالتكبير والتهليل، هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تجذُّر الإيمان بالله في النفس الإنسانية وأنه لا يمكن لكل أشكال القهر والقمع أو التربية الخاطئة أن تطفئ جذوة الفطرة أو تطمس معالمها».[1]

فمهما عصفت الأيدلوجيات الإلحادية بالإنسان فإنها لن تستطيع أن تطمس أو تطفئ نور الفطرة، ومن خلال هذه الفطرة نستطيع الدخول إلى أعماق النفس الإنسانية للشخص الملحد والأخذ بيد المعرفة الفطرية إلى عالم الوعي والشعور وإرجاعه وربطه بها وذلك بالطرق التالية:

١ – اللجوء والرجوع إلى العقل

وذلك بالاستفادة من القوة العقلية الاستدلالية لتقوية وظهور الفطرة الموجودة في داخله فإن مخالفة الملحد لفطرة الله عز وجل كانت لامحالة من عدم

---

١ – مقالة الشيخ حسين الخشن، الدين والفطرة، http://www.al-khechin.com

أستخدامهم لعقولهم التي توصلهم إلى الإيمان بوجوده تعالى، فالعقل والفطرة في توافق تام، فلا العقل يخالف الفطرة، ولا الفطرة تنافي العقل، ومن خلال إيقاظ الفطرة العقلية البديهية المودعة في نفس كل إنسان بما أودع الله فيها وفي كل الخلائق من قوانين كلية، مع الرغبة الكامنة فيه للكمال، فإن الإنسان بفطرته يبحث عن علل الحوادث، فما من حادثة إلّا وهو يبحث عن علّتها ويشتاق إلى الوقوف عليها، عندئذ ينقدح في ذهنه السؤال عن علّة العالم ومجموع الحوادث، هل هناك علّة موجدة للعالم الكوني وراء العلل والأسباب الماديّة أو لا؟ فالبحث عن وجود صانع العالم فطري للإنسان، فهو يدرك أن الحادث لا بدَّ له من محدث، وأن الجزء دون الكل، وأنه يستحيل الجمع بين المتناقضين، وأن هذه العلوم كامنة في عقل الإنسان وإن مايفهمه الإنسان من خلال حواسه يكون عاملا في إيقاظ واستفاقة تلك العلوم الفطرية، فإذا رجع إلى نفسه وابتعد عن المكابرة يكتشف أن هنالك أحساس ديني في أعماق وجدانه، وهي الدافع والمحرّك لعملية البحث في قضايا الإيمان، وبوحي منها يتحرك العقل فيبرهن ويستدل ويحاكم، وإن جميع علوم الكائنات ومظاهر الوجود مرتهنة بوجود الله عز وجل ولولا هذا الاستعداد ما أفاد النظر ولا البرهان، إذ أن في عمق روح الإنسان توجد أمكانيات وبذور المعرفة الشعورية بالله، إلّا أن هذه الإمكانيات الفطرية في الأفراد العاديين ليست بتلك القوة التي تغنيهم عن التفكر والتأمل والاستدلال العقلي دون مساعدة.[١]

---

١ - انظر (السيد عبد الحسين، دستغيب، التفكر، ص٨٠ - ٨١). وانظر (محمد حسين طباطبائي،

قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاختلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[1]

والشاهد على ذلك ما ورد في الخطبة الأُولى لنهج البلاغة عن أميرالمؤمنين(عليه السلام) قوله: «فبعث الله فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول»[2].

وفي شرح هذه الخطبة قال ابن أبي الحديد: «مراده أنه لما كانت المعرفة به تعالى وأدلة التوحيد والعدل مركوزة في العقول، أرسل سبحانه الأنبياء أو بعضهم ليؤكدوا ذلك المركوز في العقول وهذه هي الفطرة المشار إليها في الحديث الشريف: كل مولود يولد على الفطرة»[3].

٢ – توظيف الابتلاءات والمحن

تعد الابتلاءات والمصائب والكرب والمحن إحدى الطرق لإيقاظ الفطرة في الإنسان الملحد، وذلك باستحضار المواقف الصعبة والحرجة التي لا تخلو منها

أصول الفلسفة، ص٢٢٨ – ٢٣٠)

١ – البقرة، ١٦٤.

٢ – محمد بن الحسين، الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة الأولى في اختيار الأنبياء، ص٣٠.

٣ – ابن أبي الحديد، المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج١ – ٢، ص٧٢.

حياة أي إنسان، والتذكير بما يجول وقتها داخل غمار نفسه وقلبه، والنداء الذي يدعوه باللجوء إلى قوة وجهة واحدة ومصدر واحد، فهناك لحظات تظهر فيها هذه الفطرة جلية خصوصاً عندما يتعرض الإنسان لساعات الخطر والخوف، ويتوجه عندها إلى القدرة المطلقة والقادرة الغير عادية والغير محسوسة أو المرئية، فالفطرة موجودة كما وضَّحنا إلّا أن الملحد قد طمس معالمها، ومهما يطمس الملحد معالم فطرته المرتبطة بخالقها، إلّا أنه لا يستطيع أن يطمس حقيقة وجودها عندما تظهر في وقت الشدَّة والكرب وهي تستغيث بخالقها، وأن الخلق قد جبلوا على الرجوع إلى قوة ما في وقت الشدَّة والمحن، وهنا نوضح له أن تلك القوة التي تمسكت بها نفسه عند الشدة والأستغاثة إنما هو الله سبحانه وتعالى، وفي هذا المجال يصوِّر لنا القرآن الكريم ذلك بقوله: {فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم مشركون}[1].

كما يؤيد ذلك قول الرجل للإمام الصادق(عليه السلام): «**يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيَّروني، فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينةً قط؟ قال: نعم قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم قال: فهل تعلَّق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ فقال نعم، قال الصادق**(عليه السلام): **فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا**

١ - العنكبوت، ٦٥.

منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»[1].

يتضح من هذه الرواية أن هناك منبّه وجداني وأن نداء الفطرة لا يخبو ولا ينطفأ رغم كل الملوّثات، ولذا فإنها سرعان ما تنبعث من جديد في اللحظات الصعبة لتسعف صاحبها وتعيده إلى جادة الصواب.

إذاً اتضح أن الإلحاد عارض في الحياة البشرية وأنه ظاهرة ليست من طبيعة النفس البشرية بل هو أمرطارئ على فطرة الإنسان كالمرض، وهناك من البشر من اختار أن يخالف فطرة الإيمان التي بداخله وينكر بديهيات العقل بإرادته واختياره ليعيش معاناة معنوية ونفسية في بعده عن الله، لكن يمكن إيقاظ هذه الفطرة التي خُمدت بسبب المؤثرات السلبية بالاستعانة ببعض المقومات والعوامل التي ذُكرت والتي تساعده على ذلك[2].

١ - محمد بن علي القمي، الصدوق، التوحيد، ص٢٣١.

٢ انظر (د.فؤاد محسن الراوي، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، ص٢٠٨ - ٢١١).

المبحث الثاني:
طريق التسلُّح بالعلم والمعرفة

إحدى الطرق لمعالجة الإلحاد هو التسلُّح بالعلم والمعرفة فهو يعتبر من الطرق الأساسية لمواجهة وتقليص هذه الظاهرة التي تستهدف مجتمعاتنا الإسلامية، فالمفاهيم والمعلومات التي يختزنها الإنسان في عقله يجب أن تكون قائمة على أساس المنهج والتفكير العلمي الصحيح، فمع تعطيل العقل تغيب الشخصية العلمية والفهم السليم، وتأتى أهمية التسلُّح بالعلم والمعرفة هنا لما تعطي الإنسان من قوة وحصانة من أي انحرافات فكرية أو عقائدية، وذلك من خلال التعرف على البحوث والدراسات المستندة إلى الكتاب والسنَّة الشريفة التي تبين طرق الوصول والتعرف على الله تعالى، فهذه الدعوة هي لمن ينكر وجود خالقٍ لهذا الكون بإرشاده بالرجوع إلى العلم والتعلم والاطلاع لفهم الدين والوقوف على المعرفة المعتبرة فيه والبحث عن الله، فهو العلاج الوافي من الشك والحيرة التي تختلج صدورهم لما في هذه المعرفة من أجوبة شافية ووافية وأدلة واضحة على أصل الخلق والكون والحياة، لأن هذا العلم يرسِّخ الإيمان في القلب وينقِّي النفس من أدران وفلسفات العصر ويخلصها من الوساوس، ويبعد عنها الهواجس والقلق والاضطراب، ويقوي العزيمة، ويدحض افتراءات الملحدين، ويضع حدا لتضليلهم وإغوائهم وآثارهم على ضعاف القلوب من عامة الشعوب، لذا إنَّ التسلُّح بالأدلة العقدية والإلمام الجيد بأدلة الإيمان والإثبات على صحة الدين الإسلامي واجب وضروري وذلك من خلال الأدلة العقلية المنضبطة والمطروحة من قبل القرآن الكريم

وسنن الرسول(ص) وأهل بيته الطاهرين، كما إنّ القرآن الكريم قد طرح عدداً من المواضيع وطلب من الناس التأمّل فيها، وما هذه المواضيع سوى موضوعات تلك العلوم الّتي نطلق عليها اليوم أسماء العلوم الطبيعيّة والرياضيّة والحياتيّة والتاريخيّة وغيرها، والتي تدعو الناس إلى التأمّل في مخلوقات الله، والاطلاع على أسرار الكائنات وأحوالها، وهذا خير دليلٍ على أنّ الإسلام لم يحصر العلم المطلوب تحصيله بالعلم الدينيّ فقط.

ولأن لمسألةِ تحصيل العلم والمعرفة أهمّيةً قصوى وأساسية في التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى، خصوصاً إذا كان مؤيداً بالحجج والبراهين وماله من أثر في علاج ومواجهة ظاهرة الإلحاد لذا ضروري توظيفه في الأمور التالية:

١ – طرق معرفة الله

إن أساس العلة في الملحد وأساس القضية التي يؤمن بها هي قوله أن الله غير موجود وأن هذا العالم خلق عن طريق الصدفة، وسؤالهم لو كان الله موجوداً فلماذا لا نراه؟ إن إنكار وجود الله دعوى إلحادية لادليل عليها، بل الأمر على عكس ذلك، فالأدلة قائمة على وجود الله تعالى في الآفاق والأنفس، وإن حدوث الكون مصادفة مستحيل من الناحية العلمية والعقلية، ولأجل معالجة هذه العلة علينا بأستخدام البراهين العقلية فإن لكل قول لا بدَّ من برهان فأين براهين الملحدين بأن هناك إرادة أخرى تسيطر على الكون غير إرادة الله سبحانه وتعالى؟

وكما يقول الدكتور المحمدي:

«فإنَّ أحداً لايستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول أنَّ الله موجود، كما

إن أحداً لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول أن الله غير موجود، وقد ينكر منكر وجود الله لكن لايستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل»[1].

ولإثبات صحة الفكرة بوجود الله لا بدَّ من التعرف على الأدلة والبراهين العقلية التي تثبت وجوده تعالى، والتي تعتبر من ضرورات علاج ظاهرة الإلحاد لأنها تحاكي العقل وتثبت أن الأشياء التي في الكون وخلق العالم لم تأتِ من لاشئ أو عن طريق الصدفة كما يدعي الملاحدة، وقد أبان الله تعالى هذه القضية ودلَّ عليها بكل دليل حتى لايترك فيها شك ولاريبا لأحد فأقام سبحانه وتعالى من آياته العظيمة في خلق السموات والأرض والناس ما يرشد العباد إلى خالقهم ويدلهم على ربهم الذي أحسن كل شيء خلقه، وأمرهم أن يتفكروا في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[2].

كما أن هذه العبارة المعروفة بين الحكماء والفلاسفة والتي تقول: "أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق"[3] تشير إلى كثرة الأدلة والبراهين على وجوده سبحانه وتعالى وتنوُّعها، وكلّ شخص يستطيع أن يبلغه من الطريق الذي يناسب قابليته وإستعداده، وبذلك تكون معرفة الله متاحة لكل أحد وممكنة

---

١ – عبد العزيز سعد المحمدي، الإلحاد في العصر الحاضر، ص١٧٥.

٢ – فصلت، ٥٣.

٣ – محمد الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ج٣، ص ١١٠، يرويها عن (أحمد نراقي، مثنوي طاقديس، ص٢٠٦).

لجميع فئات الناس، ويأتي العلاج هنا بحسب مايملك الإنسان المنكر لله من ذهنية، فبعضها سهلة يسيرة ولاتحتاج إلى مقدمات معقدة، بل يوجه الإنسان بصورة مباشرة إلى الخالق، وهو طريق التأمل والتفكر في آيات الله ودلائله التي يحفل بها هذا العالم، لكن إن كان يحمل في ذهنه الكثير من الشبهات والوساوس علينا أن نسلك معه الطريق الذي يعتمد على القواعد المتينة ذات المرتكزات والأسس الفلسفية، وإن طريقة عرض البراهين الدالة على وجود الله بطريقة علمية ومؤيدة بالحجج والبراهين العقلية لاريب أنها سوف تقطع ادعاءات الملاحدة وهي كثيرة ومتعددة حيث يتم التدرج في عرض هذه البراهين والمستخدمة كطريقة لعلاج الإلحاد من السهل واليسير إلى الأصعب شيئاً فشيئاً وكل حسب حالة الملحد ومدى كمية الشكوك والشبهات التي في عقله وقلبه مع استخدام الأمثلة لتسهيل فهمه لها فإن كانت الشكوك التي يحملها قليلة وبسيطة ممكن أن نقوده إلى معرفة الله من خلال:

١ - **برهان النظم**: فهو البرهان الذي يتجاوب مع جميع العقول على اختلاف سطوح تفكيرها، وأوضحها وأقربها إلى الحس والتجربة، حيث يدلُّ صاحبه إلى الله عن طريق مخلوقاته ودقة النظام والتناسق في الخلق وأنها تؤلف نظاما شاملا وتدل على خالق حكيم أوجدها وهو دائماً يواصل إدارتها وتدبيرها، ومعنى النظم والنظام: هو الانسجام والائتلاف بين الأشياء لأداء مهمة معينة، ويقابل هذا المعنى الفوضى، فعندما يتأمل الإنسان في السماوات والأرض ومابينهما فإنه يرى أنها مخلوقة بأحسن نظم وأتقن تدبير فيحكم العقل بأنه لا بدَّ لهذه النظم من منظم حكيم ومدبر عليم، ولم يأتِ عن طريق

الصدفة[1]، ويُعتَبَر هذا البرهان من الأدلّة السهلة المتيسرة لكلّ البشر.

والآيات القرآنية التي تدل على هذا المفهوم كثيرة منها قوله تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إلى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} * {وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ} * {وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ} * {وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[2].

وقوله تعالى: {ومِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} * {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} * {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[3].

فهذه الآيات التي ذكرناها إنما هي نماذج قليلة من الآيات البارزة حول حقيقة أن النظام الرائع والسائد في الكون لاينفك عن تأثير بعض أجزائه في بعض وانسجام بعضه مع بعض، وأنه قد وجد بفعل قوة عالمة وعارفة بالسنن والقوانين الكونية اللازمة ووجود منظم لهذا الكون، وأن جميع ما في عالم

---

[1] - الصدفة: - معناها أن الكون نشأ عن طريق الاإرادة ويقصدون بالصدفة أن الأشياء والوجودات في العالم وجدت دون سبب أو علة للإيجاد وإنما من طبيعتها الوجدان والظهور أو الفقدان والضمور فليست مرتبطة بأي جهاز تخطيطي أو عقل مدبر ومخطط وبالطبع يقدّم هؤلاء الصدفيون أدلتهم على دعواهم تلك، وتتلخص أدلتهم بأنهم ما شاهدوا بداية التكوين والخلق فلذلك لم يحصل لهم الجزء بوجود علل للخلق والوجود وأنهم حالياً يشاهدون الموجودات باختلاف أنواعها مخلوقة ولها قوانينها المعينة. راجع (موقع الشيخ حسين أنصاريان، نظرية الصدفة في خلق العالم، http://www.erfan.ir)

[2] - الغاشية، ١٧.

[3] - الروم، ٢٢ - ٢٤.

الوجود آياتٍ واضحة وعلائم بينة ودلالات قاطعة على وجود خالق لهذا الكون، لذلك فإن الإلهي لايبحث عن الله ولايثبته من خلال المجهولات أو الحالات الشاذة عن النظام وإنما يطلبه ويتوصل إليه ويثبته من خلال الأمور المنتظمة التي لايمكن أن تفسر إلّا في إطار العلم والعقل[1].

ويؤيد هذا الدليل ماجاء عن الإمام الصادق(عليه السلام) في ما أملاه على تلميذه المفضّل بن عمرأذ قال: «**يا مُفَضَّلُ، أَوَّلُ العِبَرِ وَالأَدِلَّةِ عَلَى الباري – جَلَّ قُدسُهُ – تَهِيَئَةُ هذَا العالَمِ، وتَأليفُ أَجزائِهِ ونَظمُها عَلى ما هِيَ عَلَيهِ، فَإِنَّكَ إِذا تَأَمَّلتَ العالَمَ بِفِكرِكَ ومَيَّزتَهُ بِعَقلِكَ وَجَدتَهُ كَالبَيتِ المَبنِيّ، المُعَدّ فيهِ جَميعُ ما يَحتاجُ إليه عِبادُهُ، فَالسَّماءُ مَرفوعَةٌ كَالسَّقفِ، وَالأَرضُ مَمدودَةٌ كَالبِساطِ، وَالنُّجومُ مَنضودَةٌ كَالمَصابيحِ، وَالجَواهِرُ مَخزونَةٌ كَالذَّخائِرِ، وكُلُّ شَيءٍ فيها لِشَأنِهِ مُعَدٌّ، وَالإنسان كَالمُمَلَّكِ ذلِكَ البَيتِ، وَالمُخَوَّلِ جَميعَ ما فيه، وضُروبُ النَّباتِ مُهَيَّأَةٌ لِمَآرِبِهِ، وصُنوفُ الحَيَوانِ مَصروفَةٌ في مَصالِحِهِ ومَنافِعِهِ، فَفي هذا دَلالَةٌ واضِحَةٌ عَلى أنَّ العالَمَ مَخلوقٌ بِتَقديرٍ وحِكمَةٍ، ونِظامٍ ومُلاءَمَةٍ، وأنَّ الخالِقَ لَهُ واحِدٌ، وهُوَ الَّذي أَلَّفَهُ ونَظَمَهُ بَعضاً إلى بَعضٍ جلّ قدسه وتعالى جدّه**»[2].

فإن الإمام الصادق(عليه السلام) يريد بهذا الحديث أن يدل الناس على خالقهم والتعرف عليه من خلال مطالعة الكون وما فيه من النظم والإتقان،

---

١ – انظر (جعفر الهادي، الله خالق الكون، ص٤٠ – ٤٢).

٢ – العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار، ج٣، ص ٦٢.

وأن البحوث العلمية التي أجراها العلماء في مختلف مجالات العلوم، أثبتت بأنّ الأشياء الموجودة في العالم، خُلقت وفق نظامٍ تهيمن عليه حسابات دقيقة مدهشة، بحيث يكون من المستحيل للمادّة الصمّاء والعلل التي لاتمتلك الشعور والإدراك أن تكون سبباً لخلق هذا النظام.[1]

٢ – برهان الإمكان والوجوب: يعدّ دليل الإمكان والوجوب من أحكم البراهين على وجود واجب الوجود –الله سبحانه وتعالى – واستغناءه عن غيره في وجوده، فإن الإنسان والعالم هو من نوع الموجود الممكن وإنَّ الممكن لا يوجد وحده لأنه متساوي الطرفين إلى الوجود والعدم، وما لم تأتِ علة تخرجه إلى طرف الوجود لايوجد، وإنَّ كل مافي الكون من سنن وقوانين لاينفك عن علة توجده وإنَّ تكون الشيء من غير مكون وتحققه من غير علة أمر محال لايعترف به العقل بالفطرة وبالوجدان والبرهان، إذن لا بدَّ من وجود موجود واجب الوجود هو الذي أوجده ولو كان ذلك الموجد أيضاً ممكن الوجود لأحتاج هو بدوره إلى موجد وهكذا.

ولقد تعرَّض القرآن الكريم إلى هذا الدليل بقوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}[2]، والسؤال في الآية الكريمة يحمل الجواب معه، لأنه إذا كان من غير الممكن أن نُخلَق من لا شيء إذ لا بدَّ لكل معلول من علة توجده، ولم نخلق نحن أنفسنا، فلا خيار سوى الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى

---

١ – أنظر(علاء الحسون، التوحيد في مذهب أهل البيت، ص١٠ – ١٣).

٢ – الطور، الآية ٣٥.

هو الذي خلقنا، وكما جاء في الأمثل قوله: «إنها إشارة إلى "برهان العليّة" المعروف الوارد في الفلسفة وعلم الكلام لإثبات وجود الله، وهو أنّ العالم الذي نعيش فيه ممّا لا شكّ فيه حادث لأنه في تغيير دائم، وكلّ ما هو متغيّر فهو في معرض الحوادث، وكلّ ما هو في معرض الحوادث محال أن يكون قديماً وأزليّاً »[١].

وكذلك قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إلى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[٢].

وهنا تشير الآية إلى الفقر المطلق لكل الناس وهذا الفقرعلى قسمين:

أولاً - هم فقراء في وجودهم ويحتاجون إلى علة تفيض عليهم نعمة الوجود لكي يخرجوا من ظلمات العدم إلى نور الوجود.

وثانياً - إنَّ الناس فقراء لحاجتهم إلى علة مبقية لهم تكون سبباً في استمرار بقائهم أحياء وموجودين ولولاها لفنوا ورجعوا إلى العدم ثانية. وما ذلك إلّا لأنَّ الناس من نوع (ممكن الوجود) الذي يحتاج إلى علة لخلقه واستمرار وجوده[٣]. أما الله سبحانه وتعالى فهو الغني المطلق لأنه (واجب الوجود) فلا يحتاج لعلة توجده أو تبقيه، وهو غني عن العالمين كما في قوله تعالى: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ}[٤].

---

١ - ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ص١٨٧.

٢ - فاطر، الآية ١٥.

٣ - انظر (السيد خليل الطباطبائي، برهان الإمكان والوجوب، صفحة المجتبى الإلكترونية).

٤ - محمد، ٣٨.

ويؤيد هذا الدليل الأحاديث التالية: عن علي بن مهزيار قال: كتب أبو جعفر(عليه السلام) إلى رجل بخطه في دعاء يقول: (يا ذا الذي كان قبل كل شيء، ثم خلق كل شيء، ثم يبقى ويفنى كل شيء، ويا ذا الذي ليس في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولابينهن ولا تحتهن إله يعبد غيره)[١].

وكذلك روي عن الإمام الصادق(عليه السلام) عن أبيه، قال: قال رسول الله(ص) في بعض خطبه: (الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانيا، وفي أزليته متعظما بالالهية، متكبرا بكبريائه وجبروته، ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق بشيء مما خلق)[٢].

٣ – **برهان الحدوث**: وهو إنَّ الجسم لا يخلو عن الحوادث الأربعة، كالحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق[٣]، وكل ما لايخلو من الحوادث فهو حادث، ينتج:إن كل جسم حادث[٤]. والحادث لا ينفك في حدوثه عن محدِث، تبعاً لقانون العليّة والمعلول النتيجة العالم[٥] يحتاج إلى مُحدِث، وإن كل حادث لا بدَّ

---

١ – محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٣، باب ١٢(إثبات قدمه تعالى وامتناع الزوال عليه)، حديث ٥، ص٢٨٥.

٢ – علي بن بابويه الصدوق، التوحيد، باب التوحيد ونفي التشبيه، حديث٤، ص٤٤.

٣ – راجع الشيخ الصدوق، التوحيد، باب ٤٢، ح ٧، ص٢٩٦.

٤ – راجع الحسن بن يوسف الحلي، كشف الفوائد في شرح العقائد، ص١٣٦.

٥ – "العالم" عبارة عما سوى الله تعالى. انظر (نصير الدين الطوسي، قواعد العقائد، الباب الأول، ص٣٩).

له من محدِث وخالق، وحينئذٍ يرد السؤال التالي: ما هو المحدِث لحياة المادّة؟ والجواب إما أن نقول هي نفسها أو غيرها، ولا يوجد فرض ثالث، ولكن الفرض الأول باطل، لأنّ المفروض أنها كانت قبل حدوث الحياة لها فاقدة لها، وفاقد الشيء يستحيل أن يكون معطياً له، فلا مناص من قبول الفرض الثاني، فهناك إذن موجود آخر وراء عالم المادّة هو الموجد لهذا العالم والمحدث له وهو الله تعالى[1].

إنّ في الكتاب الكريم نصوصاً تؤيد هذا الدليل ألا وهو حدوث الكون أرضاً وسماءاً وما بينهما وما فيهما، وقد قال تعالى في حقّ الإنسان: {هَلْ أَتى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً}[2].

وقال سبحانه وتعالى: {أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ولَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ}[3].

ولقد سُئلَ الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): «ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال(عليه السلام): «**نستدل عليه بأقرب الأشياء.**» قيل له: وما هو؟ فدعا أبوعبدالله(عليه السلام) ببيضة فوضعها على راحته، فقال: «**هذا حصن ملموم داخله غرقئ[4] رقيق لطيف به فضة سائلة وذهبة**

---

٦ – انظر (جمال الدين الحسن العلامة الحلي، شرح التجريد، ص٣٠٥).

٢ – الدهر، ٢.

٧ – الأنعام، ١٠١.

٤ – الغرقئ: – هو القشر اللطيف في البيض تحت القشر الظاهر.

ثم تنفلق، عن مثل الطاووس، أأدخلها شيء؟» فقال: لا، قال: «**فهذا الدليل على حدوث العالم**»[1].

لعل الإمام هنا جعل البيضة للاستدلال بأن الإنسان مهما أوتي من قوة فإنه لايستطيع صنع مثل هذه البيضة بل هو جاهل بتفاصيل أمورها، فهل يعقل أن يكون كل ذلك بلا مدبر وبمحض الصدفة الفاقدة للشعور.[2]

كما جاء عن الإمام علي(عليه السلام) قوله: (الحمد لله الدالّ على قِدَمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده مستشهدٌ بحدوث الأشياء على أزليّته)[3].

كذلك جاء عن الإمام علي(عليه السلام): (الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، وبمُحدَثِ خلقِه على أزليّته)[4]

وبذلك نقول لكي نقنع الملحد بوجود الله يجب أن نعرِّفه على البراهين الدالة عليه عزوجل لأنَّ العقل يدعو الإنسان العاقل ويحفزه إلى التفكر والبحث عن وجود الله تعالى كما أن طرق إثبات وجود الله كثيرة ومتعددة، وهي خير علاج للشخص الملحد لما لها من دور في الحد من حيرته وشكوكه وذلك لكونها معززة بالبراهين العقلية والفلسفية التي لامجال لإنكارها لأنها تحاكي العقول.

---

١ – محمد بن بابويه الصدوق، التوحيد، باب إثبات حدوث العالم، ج١، ص٢٩٢.

٢ – راجع جعفر الشيرازي، شرح أصول الكافي، ص٤٦.

٣ – الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥، ص٣٦٠.

٤ – مصدر سابق، خطبة ١٥٢، ص٣٠٠.

٢ – الدعوة إلى التوحيد

لقد جعل الإسلام دعوته تبدأ من توحيد الله سبحانه وتعالى والإيمان به والإقرار أنه إله الكون وخالق الوجود، وجعل الهدف الأول والأخير للرسالات السماوية جميعاً هو إقرار هذه القضية العظيمة من قضايا الدين، وجعل الله سبحانه وتعالى الهدف الأول من وجود الإنسان على هذه الأرض هو أن يعبد ويعرف الله سبحانه وتعالى ويوحده وحده لاشريك له، وقد أبان الله هذه القضية ودلَّ عليها بكل دليل حتى لايترك فيها شكّاً ولا ريباً لأحد، وكما يقول السيد الطباطبائي:

«نصب العبد نفسه في مقام الذلة والعبودية وتوجيه وجهه إلى مقام ربه، وهذا هو المراد من فسَّر العبادة بالمعرفة يعني المعرفة الحاصلة بالعبادة، فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلقة وهي أن ينقطع العبد عن نفسه وعن كل شيء ويذكر ربه.»[١]

وهذا مايعطيه التدبُّر في قوله عز وجل: {وماخلقت الجن والانس الأ ليعبدون}[٢]، إذاً العبادة ومعرفة الله هي الغاية من وجودنا الدنيوي وإن موضوع التوحيد من أهم موضوعات معرفة الله بعد إثبات وجوده، ومن العلاجات الهامة لحالات الإلحاد والإنكار للخالق، وذلك بالدعوة إلى الرجوع إلى الجادة الصحيحة عن طريق بيان صحة المعتقد بالله سبحانه

---

١ – محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٨، ص٣٨٦.

٢ – الذاريات، ٥٦.

وتعالى خصوصاً أن أي معتقد في ماعدا الإيمان بالله يعتبر عقبة في مسيرة التكامل الحقيقي للإنسان، فالمنظور الإسلامي يعتبر الحياة الدنيا بداية لرحلة أبدية وإن مابعد الموت والحساب والجزاء حياة مخلدة، والإسلام يعتبر أن لوجودنا في هذه الحياة غرضا وغاية وهي العبادة وحقيقتها، وإنَّ الاعتقاد بوجود الله هو الوسيلة الفكرية الكاملة الوحيدة التي تجعل لهذا الوجود معنى وهذا الاعتقاد هو الذي يجعل لوجود الإنسان معنى أكثر من كونه مجرد كتلة من المادة أو الطاقة لذا هناك ضرورة للسعي والبحث عن الدين وبذل الجهود للتوصل إلى الأيدلوجية والرؤية الكونية الصحيحة وإلّا فإن الملحد لا يمكنه التوصل إلى الكمال الإنساني والاطمئنان الروحي دون التعرف على الله عز وجل[1]، وبعد الإشارة إلى أن تدبير العالم بيد الله سبحانه وكل مافيه يعمل بأمره وبمشيئته، وأن الكتب السماوية والشرائع التي أنزلها الله على العباد نجدها كاملة من كل الجهات ومتطابقة مع خلق الإنسان وحاجاته، كما أن المعاجز التي جرت على أيدي الأنبياء والتي يستحيل على البشر الإتيان بها، وهذا دليل على خالق أرسلها، وهي عكس الشرائع والقوانين البشرية التي كلما وضعوها اكتشفوا بعد فترة النواقص والثغرات الكثيرة فيها، والتي تتعرض إلى التغيير الدائم.

وأخيرا جاء في الكافي عن الإمام السجاد(عليه السلام) حينما سألوه عن

---

١ - انظر (محمد متولي الشعراوي، الأدلة المادية على وجود الله، ص٣ - ٦)، (عبد المجيد سرحان الدمرداش، الله يتجلى في عصر العلم ص١٥٠ - ١٥٤).

كيفية الدعوة إلى الدين فقال: «**تقول بسم الله الرحمن الرحيم، أدعوكم إلى الله عز وجل، والى دينه، وجِماعُهُ أمران: أحدهما معرفة الله، والآخر العمل برضوانِهِ، وإن معرفة الله، أن يعرف بالوحدانية والرأفة، والرحمة، والعزة، والعلم، والقدرة، والعلو على كل شيء، وأنه النافع الضار، القاهر لكل شيء، الذي لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، وأن محمداً عبده ورسولُهُ، وأن ماجاء به هو الحق من عند الله، وماسواه هو الباطل**»[1].

---

١ - محمد الكليني، أصول الكافي، ج٥، باب الدعاء إلى الإسلام قبل القتال، ص٣٦، ح١.

المبحث الثالث:

طريق التصدي لدعاوي وشبهات الملاحدة

إنَّ التصدي لشبهات الملحدين والمشككين من أهم عوامل وطرق علاج ظاهرة الإلحاد، وقد قام بهذه الوظيفة قادة الدين والأئمة الهادين من قبل حيث كانت الشبهات مستشرية منذ ذلك العهد فقد حرص الإمام الصادق(عليه السلام) على مقابلة هؤلاء الفئة من الزنادقة بسلاح العقل ومواجهتهم بالأساليب العلمية والفلسفية لإثبات وجود الله، فكان من جوابه(عليه السلام) للمفضّل بن عمر[1]، الذي استعان بالإمام الصادق(عليه السلام) للرد على أحد الزنادقة وهو ابن أبي العوجاء[2]، الذي سمعه المفضل وهو جالس في مسجد الرسول بالمدينة يتحدث مع صاحبه ويقول له أنه ليس هناك لاصانع ولا مدبِّر بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبِّر وعلى هذا كانت الدنيا ولم تزل ولاتزال، فخرج المفضل إلى الإمام الصادق(عليه السلام) وحدثه بما سمع، فقال الإمام الصادق(عليه السلام): «يا مفضَّل أن الله تعالى

---

١ - المفضَّل بن عمر الجعفي، ولد في أواخر القرن الأول الهجري بمدينة الكوفة، من الرجال البارزين والتلامذة المميزين والرواة الموثوقين عند الإمام الباقر والصادق والرضا(عليهم السلام)، راجع (المفضَّل بن عمر، الجعفي، التوحيد، ص٣).

٢ - ابن أبي العوجاء: هو عبد الكريم بن أبي العوجاء، وكان من الزنادقة المشهورين، وكان عبد الكريم يفسد الأحداث، فتهدده عمر بن عبيد فلحق بالكوفة فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه وذلك سنة (١٦١ هـ) ولما أخذ ليضرب عنقه قال ابن أبي العوجاء: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أُحرم فيها الحلال واحلل الحرام، راجع (المفضَّل بن عمرالجعفي، التوحيد، ص٤٠).

كان ولاشئ قبله، وهو باق ولا نهاية له، وأملى الإمام الصادق(عليه السلام) مايقوى به على مناظرة الزنادقة، قال المفضّل: يا مولاي، إنّ قوماً يزعمون أنّ هذا الخلق من فعل الطبيعة، فأجابه الإمام(عليه السلام): «**سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على هذه الأفعال؟ أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة، فما يمنعهم من إثبات الخالق، فإن هذه صفته، وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولاعمد، وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة، وأعلم أن هذا الفعل للخالق الحكيم فإن الذي سموه طبيعة هو سنَّته في خلقه الجارية على ما أجراها عليه.**».[1]

كما جرت بين الإمام الصادق(عليه السلام) وأحد أقطاب حركة الإلحاد «أبوشاكر الديصاني»[2] عدة مناظرات أبطل الإمام فيها مزاعمه الواهية وكان من بينها المناظرة التي وجّه فيها أبوشاكر السؤال التالي للإمام(عليه السلام) قائلاً: «ما الدليل على أنّ لك صانعاً؟ فيجيبه الإمام(عليه السلام): «**وجدت نفسي لاتخلو من إحدى جهتين: إما أكون صنعتها أنا، أو صنعها غيري، فإن كنت صنعتها أنا فلا أخلو من إحدى معنيين: – إما**

---

١ – المفضَّل بن عمر، الجعفي، التوحيد، ص٩ – ١٠.

٢ – الديصانية قوم من الملاحدة، وديصان رئيسهم، ويقال له ابن ديصان أيضا، اختلق مذهبا ودعا الناس إليه، وديصان مشتق من داص يديص ديصانا إذا زاغَ وحادَ ومال عن الطريق، ومعناه الملحد كما في لسان العرب. راجع (محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٢٧٨)، وراجع (السيد جعفر الشيرازي، شرح أصول الكافي، ج٢، كتاب التوحيد، ص٤٣).

أن أكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنت بوجودها عن صنعتها، وإما كانت معدومة، فإنك تعلم أن المعدوم لايحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صانعاً وهو رب العالمين، فقام الملحد وما أحار جواباً».[1]

وأما في الوقت الحاضر فهناك أيضاً دعاوى للملاحدة الذين جعلوا من النظريات العلمية وسيلة للتغرير بالناس واستخدامها كأداة لإنكار الخالق وكانت الاستفادة منها خاطئة ومن النظريات التي استخدمها الملحدون للتأثير على عقائد الناس وجرهم إلى هاوية الإلحاد هي ما يلي:

١ – نظرية النشوء والتطور:

نظرية التطور أو النظرية الدارونية[2]، سُمِّيَ هذا المعتقد (بنظرية داروين) والتي طُرحت قبل حوالي مئة وخمسين سنة منذ أن ألّف داروين كتابه (أصل الخلائق) وكتابه الثاني (ظهور الإنسان)، ومجمل النظرية تقوم على الأمور التالية:

---

١ – محمد بن علي بن الحسين، الصدوق، التوحيد، ص٢٩٠.

٢ – لقد شرح دارون صاحب النظرية، والذي تم تعريفه مسبقا في الفصل الأول عملية التطور وكيف تمت في عدة نقاط أهمها: (الانتخاب الطبيعي) حيث تقوم عوامل الفناء بإهلاك الكائنات الضعيفة الهزيلة، والإبقاء على الكائنات القوية، وذلك يسمى بقانون (البقاء للأصلح) فيبقى الكائن القوي السليم الذي يورِّث صفاته القوية لذريته، وتتجمع الصفات القوية مع مرور الزمن مكونة صفة جديدة في الكائن، وذلك هو (النشوء) الذي يجعل الكائن يرتقي بتلك الصفات الناشئة إلى كائن أعلى، وهكذا يستمر التطور وذلك هو(الارتقاء).هذا مفاد النظرية، راجع (سلامة موسى، نظريةالتطور وأصل الإنسان، ص١٥).

١ – أن الوجود قام بدون خالق، وأن المخلوقات جميعها كانت بدايتها من خلية واحدة وهي (الأميبا)، وأن هذه الخلية تكونت من الحساء العضوي نتيجة لتجمع مجموعة من جزيئات البروتين وبينها بقية العناصر الأخرى حيث أدت عوامل بيئية ومناخية (حرارة، أمطار، رعد، صواعق) إلى تجميع هذه الجزيئات في خلية الأميبا.

٢ – أن الخلية الأولى أخذت تنقسم وتتطور إلى مخلوقات ذات خليتين ثم إلى متعددة الخلايا وهكذا حتى ظهرت الحشرات والحيوانات والطيور والزواحف والثدييات ومن ضمنها الإنسان، كما أن جزءاً آخر من الخلية انقسم وتطور إلى أنواع من الخمائر، والطحالب، والأعشاب، والنباتات الزهرية واللازهرية.

٣ – أن الإنسان قد تطور من القرد وأن معظم البشر الذين يقطنون العالم والذين هم من أصل القرود يتسلسلون بحسب قربهم لأصلهم الحيواني. وأن الإنسان لمشابهته القرد، لا يمنع أن يكون قد اشتق هو وإياه من أصل واحد.

ونحن مايهمنا في هذه النظرية هو مناقشة الجانب الإلحادي الذي حمل لواءه الماديون والذين يزعمون أنه من غير الضروري الاعتقاد بوجود خالق يتولى إدارة هذا الكون وتنظيمه لأن المادة التي يزعمون أنها كانت ولم تزل قادرة بطبيعتها وخصائصها الملازمة لها على أعطاء الحياة فهي تقوم مقام الخالق في ذلك، وبذلك يكون الرد عليهم:

١ – أثبتت فروع علمية مثل علم الحفريات، والوارثة والكيمياء الحيوية، والأحياء الجزيئية استحالة أن تكون الحياة قد نشأت بالمصادفة أو تكون قد ظهرت من تلقاء نفسها نتيجة ظروف طبيعية، حيث هناك اتفاق سائد في

الأوساط العلمية يقول: «إنَّ الخلية الحية تشكل أعقد تركيب واجهه العلم حيث كشف أن التعقيد الموجود في تركيب خلية حية واحدة وفي ترابط نظمها يفوق ذلك النظام الموجود في مدينة كبرى، ولايمكن أن يعمل هذا التركيب المعقد إلّا إذا نشأت كل أجزائه المتفرقة في وقت واحد وفي حالة عمل واحد وعلى أكمل وجه، وإلّا فسيكون هذا التركيب بلا جدوى وسينهار بمرور الوقت ويختفي ولايمكننا أن نتوقع ظهور أجزاء هذا التركيب بمحض المصادفة على مدى ملايين السنين كما تدَّعي نظرية التطور، ذلك أن الأحماض الأمينية التي تمثل وحدات بناء البروتينات المكونة للخلية الحية تعجز عن تكوين الجزيئات العضوية في الخلية مثل "الفتيلات الخيطية"، أو "الريبوسومات"، أو "أغشية الخلايا" أو "شبكة الخلية الباطنية"، ناهيك عن تكوين خلية كاملة» [١].

٢ – هناك مأزق آخر كبير واجهته نظرية التطور ألا وهو جزئ «د.أ.ن»[٢]

١ – انظر (هارون، يحيى، هدم نظرية التطور، ص١ – ١٧).

٢ – (د.أ.ن): وهو عبارة عن نظام تشفير يتكون من 3.5 بليون وحدة تتضمن كل تفاصيل الحياة فهي الشفرة الرقمية لعلم الوراثة تم اكتشافها من قبل جيمس واتسون، وفرانسيس كريك، وهي التي تميز الكائن الحي عن غير الحي وهذه الشفرة يقول عنها العلماء أنها تحمل كل الصفات الخِلْقِيَّة للكائن الحي، وهذه الشفرة أمرها غريب لأن نصف هذه الصفات الخلقية يرثها الجنين عن الأب، ويرث النصف الآخر عن الأم، وتُحمَل هذه الشفرة فيما يسمى (بالكروموسومات أو الصبغيات) وعدد هذه الكروموسومات أو الصبغيات هو عدد محدِّد للنوع، وكل نوع له عدد محدَّد من هذه الصبغيات، فالإنسان مثلا في خليته (٤٦ كروموسوم) وموجودة في (٢٣ زوج) فهذا التعقيد والدقة المتناهية كانت

الموجود في نواة الخلية الحية، فعند دراسة البلورات بالأشعة السينية من قبل فرانسيس كريك[1]، أشاد بمشكلتين رئيسيتين لم تُحلَّا بعد في علم الأحياء، الأولى هي كيف تتحول الجزيئات من غير حية إلى حية، والثانية كيف يصبح المخ عقلاً واعياً؟ هذا في حالة أن الخلايا الحية تأتي عن طريق الصدفة وهي تولِّد بعضها البعض، فتوصل فرانسيس كريك في النهاية بعد اكتشاف الشفرة الوراثية بالاعتراف بأن مثل هذا الجزئ المعقد لايمكن أن يكون قد نشأ تلقائيا بمحض الصدفة نتيجة عملية تطورية حيث قال: «لايسع الإنسان الصادق المزود بكل المعرفة المتاحة لدينا الآن إلّا أن يعلن أنه من بعض النواحي يبدو أن أصل الحياة في الوقت الحاضر أقرب مايكون إلى المعجزة»[2].

٣ - يمثل سجل الحفريات هزيمة أخرى ساحقة لنظرية التطور، ذلك أنه من بين كل الحفريات التي أُكتشفت على مدار السنين، لايوجد أي أثر لأي أشكال وسيطة والتي لا بدَّ من توافرها لو كانت الكائنات الحيَّة قد تطورت من طور إلى آخر، ومن أنواع بسيطة إلى كائنات أكثر تعقيداً كما تدَّعي نظرية التطور، ولو كانت هذه الكائنات قد وجدت في الحقيقة لكانت هناك

أحد العوامل الذي هد نظرية التطور. راجع (*What mad pursuit: a personal view of scientific discovery*، *101 page 82-*، Francis Crick).

١ - فرنسيس كريك: فيزيائي وعالم كيمياء حيوية، وعالم وراثة، وعالم أعصاب، وطبيب، وعالم أحياء جزيئية، وأستاذ جامعي، بريطانيَ الجنسية، ولد في ١٩١٦ وتوفي في ٢٠٠٤. راجع (أماني الدجاني، سلسلة علماء عباقرة فرانسيس كريك وأسس بناء الخلية، ص١٧).

٢ - فرانسيس كريك، life itself، ص٨٨..

الملايين بل البلايين منها، كما أنها لو وجدت هذه الأشكال الوسيطة حقاً لكانت أعدادها أكبر بكثير من أعداد الحيوانات التي نعرفها اليوم ولما خلا مكان في العالم من بقاياها الحفرية وأن تكون بقايا هذه الكائنات موجودة في سجل الحفريات، ويبحث أنصار نظرية التطور عن هذه الأشكال الوسيطة في كل البحوث التي أجريت على الحفريات منذ القرن التاسع عشر، ومع ذلك لم يجدوا أي أثر لهذه الأشكال الوسيطة على الرغم من سعيهم الحثيث لإيجادها طوال المائة والخمسين سنة الماضية، وأخيراً يبيّن سجل الحفريات أن أنواع الأحياء ظهرت فجأءة وبكامل تكوينها ولم تتطور من أشكال بدائية إلى أشكال متقدمة كما تدَّعي نظرية التطور، إذن فالتطور مستحيل من الناحية العلمية[١].

٤ - إننا في عقيدتنا الإسلامية لدينا رأي واضح عن كيفيه بدء خلق الإنسان، وهذا هو القرآن الكريم يصرّح بذلك، يقول الله تعالى: {الَّذي أَحسَنَ كلَّ شَيء خَلَقَه وَبَدَأَ خَلقَ الإنسان من طين}[٢]، كماجاء في قوله تعالى: {خَلَقَ الإنسان من صَلصَال كَالَفخَّار}[٣]، وقوله تعالى: {إنَّا خَلَقنَاهم من طين لازب}[٤]، فبداية خلق الإنسان إذا كانت هي الطين وليس كما يقول أصحاب نظرية التطور من أن الإنسان تطور عن حيوان آخر، كما أن

---

١ - انظر (هادي المدرسي، تهافت النظرية الدارونية وسقوط النظريات التابعة، ص١١٤ - ١٢٠).

٢ - السجدة، الآية ٧.

٣ - الرحمن، الآية ١٤.

٤ - الصافات، الآية ١١.

هنالك من الأخبار عن الأنبياء والأوصياء(عليهم السلام) توضح كيفية خلق الله آدم والذي هو أبو البشر فما جاءت به نظرية التطور لا ينسجم مع الآيات والروايات، وبذلك يكون القرآن الكريم قد دحر هذه النظرية قبل العلم بقرون عديدة.

٢ – نظرية الانفجار الكوني «Big bang»

هناك نظرية يعبّر عنها بنظرية الانفجار العظيم[١]، والتي تفسر مبدأ الكون، وهي نظرية فيزيائية تبتني على قواعد فيزيائية معينة، وبحثنا هنا ليس له علاقة بالنظرية كنظرية، بل حول تفسير العلماء لبداية الكون الذي لازال مبهم ولايزال في مجال البحث، وضمن الإطار القائل بأن الزمن والمكان لم يريا النور إلا مع حدوث الانفجار العظيم، يبقى السؤال المطروح حول معرفة ما حدث قبل ذلك خالياً من المعنى بنظر علماء الكونيّات[٢]، إلّا أن العالم الفيزيائي ستيفن هوكنگ[٣]الذي ربط النظرية بمسألة نفي الخالق حيث قال: (إنه نظراً لوجود الجاذبية، فإن الكون كان وسيظل قادراً على خلق ذاته من العدم،

---

١ – نظرية الانفجار العظيم: – هي النظرية السائدة حول نشأة الكون تُقدّم هذه النظرية شرحاً وافياً لمجموعة واسعة من الظواهر المرئية، بما في ذلك وفرة من العناصر الخفيفة والخلفية الإشعاعية للكون والبنية الضخمة للكون. راجع (Wollack E. J.، علم الكونيات ودراسة الكون، نظرية الانفجار العظيم).

٢ – انظر (د.محمودعبدالله نجا، القران ونظرية الانفجار العظيم، http://bookstoall1.blogspot.co.uk)

٣ – عالم فيزياء بريطاني وملحد تم تعريفه مسبقا.

وأن الخلق التلقائي هوالسبب في وجود الكون والبشرية وإنه لا حاجة إلى وجود خالق، لأنه إذا عُرِفَت القوانين المحكّمة في مسيرة الكون فلسنا بحاجة إلى أن نفترض وراء القوانين خالقاً، وأن الكون تشكَّل من تلقاء نفسه من الناحية المنطقية لقوانين الفيزياء، وأن الضرورة لاتستدعي استحضار الله لتنشيط الكون)[1]، إن مفاد كلام عالم الفيزياء أنه مادام الكون منذ أن كان كتلةً ومنذ أن حدث الانفجار هو يختزن قوانين طبيعية صارمة، إذن متى ما حصل القانون حصلت آثار القانون، وبذلك لا نحتاج أن نفترض مفتاحاً وراء هذه القوانين نسميه الله أو الخالق عز وجل، فربط بين نظرية الانفجار وبين دعوى عدم الحاجة إلى وجود الخالق[2].

ولأجل ذلك سوف نفصِّل هذا الأدعاء لنلزمهم الحجة ولعلاج حالة إنكار وجود الله بالنقاط التالية:

١ - لو سألنا عن تلك الطاقة أو الكتلة التي هي مبدأ الكون وحصل منها الانفجار - كما يذكر علماء الفيزياء أنها كائن كمي ذري - هذا الكائن الكمي أو الذري هل أوجد نفسه أم أوجده شيء أخر؟

يقول علماء الفيزياء أن الطاقة ممكن أن تولد من لاشيء، وبإمكان الطاقة أن تحدث من فراغ، أي من الصفر، لكن هل حدوثها من الفراغ حدث بدون تدخل أي عامل خارجي؟ إن القول بمعنى الصفر في المعادلة الفيزيائية

---

١ - راجع (ستيفن هوكينك، التصميم العظيم The Grand Design، ص١٣٠ - ١٣٧).

٢ - راجع منير الخباز، مبدأ الكون ونظرية الانفجار العظيم، http://www.almoneer.org).

ليس إلغاء الوجود، وإنما الصفر هو مبدأ لشيء آخر، إذن بالنتيجة هذه الكتلة التي منها انفجر الكون وإن افترضناها صفراً إلّا أنها صفر بحسب المعادلة الفيزيائية، لكنها في الواقع وجود، فهذا الوجود إما أوجد نفسه، ولا يعقل أن يوجد الشيء نفسَه، وإما أوجده غيره، إذن هناك احتياج إلى سبب أوجد هذه الكتلة، فلا يمكن حدوث الطاقة في فراغ بدون عامل خارجي فهذا رفضٌ لقانون السببية، وإذا رفضنا قانون السببية رجعنا إلى الوراء وأنكرنا القوانين الذكية كلها، لأن إنتاجها مبنيٌ على قانون السببية، فإذا كانوا لايؤمنون بمبدأ السببية، ويوكلون ذلك إلى الصدفة، إذن ستكون كل القوانين الذكية حدثت صدفة، مثل غليان الماء صدفة، وضغط البخار وغيرها، وبالنتيجة هذه الكتلة لايمكن أن يقال أنها حدثت صدفة، بل لها سبب، إما أن توجد نفسها أو يوجدها غيرها، حيث لا يمكن أن توجد نفسَها إذن هي حادث، ولكل حادث سببٌ[1].

٢ – المسألة الأخرى قولهم إذا كان الكون يسير وفق أنظمة ذكية دقيقة إذن لا يحتاج إلى فرضية الخالق، نقول إذا كان الكون يسير وفق أنظمة دقيقة، فهل يُعقل أن هذه الأجسام التي انفجرت أن تنفجر فيحصل مثل هذا النظام الدقيق المتناهي في الدقة، وتحصل الحياة على نمط واحد، وعلى صورة متكافئة يخدم بعضها بعضاً؟ إن هذا ممتنع لدى عامة العقلاء ولايعني هذا الاستغناء عن الخالق، لأن السؤال الذي يورد هنا هو من الذي أودع القوانين

---

١ – انظر (جعفر إدريس، الفيزياء ووجود الخالق، ص١٠٠ – ١٠٦).

الذكية الدقيقة في ذرات الكون وطاقاته، فإن وجود هذه القوانين الذكية التي تحكم الكون لايعني الاستغناء عن الخالق، لأن هذه القوانين الذكية تحتاج إلى بذرة ومنطلق، وذلك المنطلق يحتاج إلى من يفيضه ومن يعطيه، وإن الإيمان بأن الكون لا يحتاج إلى الفيض منطق غير عقلي لأن حاجة المسبَّب للسبب حاجة ذاتية سارية لا تنفكّ لحظة واحدة، فالمعلول لا ينفك عن علته والمسبَّب عن سببه، فالضوء يحتاج إلى فيض القوة الكهربائية، والنار تحتاج إلى الغاز، فما بالنا بالكون فهو لا ينفكّ عن المعطي وعن الخالق والمفيض لحظة واحدة[١].

٣ - الاستفادة من القران الكريم فإذا جمعنا بين هذه الآية وهي قوله عز وجل: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا}[٢] وبين قوله عز وجل في آية أخرى: {ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أو كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}[٣] يستفيد الإنسان من الجمع بين الآيتين أن السماء والأرض كانتا كتلة غازية واحدة، ثم انفصلتا، فتكونت الأجرام والمجموعات الشمسية[٤].

١ - نفس المصدر السابق، ص٩٠ - ٩٥.

٢ - الأنبياء، الآية ٣٠.

٣ - فصلت، الآية ١١.

- ٤ انظر (ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج١٢، ص١٥٦)، (محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٤، ص ٣٠٢ - ٣٠٤)

المبحث الرابع:

الطرق التربوية والأخلاقية لمعالجة ظاهرة الإلحاد

التربية الروحية والأخلاقية هي العناية بالروح والمحافظة على سلامتها، فالملكة الأخلاقية هي ملكة استعداد النفس لتهذيبها وتنمية نزعات الخير لديها ولا تصح هذه التربية إلّا إذا ارتكزت الوسطية بعيدة عن الإفراط والتفريط وكلاهما مذموم وخير الأمور أوسطها، وفي سبيل دعوة الناس إلى الخير والهداية أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر وتحمل الأذى حتى لاينفر الناس من هذا الدين واتخاذ الحكمة والموعظة الحسنة سبيلاً ومنهاجا كما قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[1]، وأن تمتلئ قلوب المسلمين بالمحبة والخير للناس وإنقاذهم من ظلمات الشرك والكفر والإلحاد إلى نور الهداية والإسلام.

إنَّ لِتعزيز الرقابة والتوجيه، والعناية بالتربية الأخلاقية سواء في الأسرة أو المجتمع دور مهم وفاعل في تربية النشأ وتوجيه الافراد ووقايتهم من الانحدار في منزلقات التوهان الفكري والعقائدي، وإن هذه الطرق التربوية والأخلاقية تطبق من خلال هذه المؤسسات:

١ – الاسرة

إن للأسرة دوراً كبيراً في العلاج والتربية والتأثير على السلامة الفكرية والروحية لأبناءها، فهي التي تتعهد النشأ منذ الصغر في مراحل حياته المختلفة

---

١ – ال عمران، ١٠٤.

وأشكالها المتعددة، فالأسرة هي صاحبة المسؤلية الكبرى في غرس العقيدة الصافية والفكر القويم والثقافة النافعة في نفوس النشأ وهي التي تُعوِّد الأولاد على أداء العبادات منذ الصغر وتعمق فيهم الشعور بخشية الله ومراقبته، لذا لا بدَّ أن تعزز الأسرة دورها في الرقابة والتوجيه للأبناء والبنات، ولا بدَّ أن يعطي الوالدان أولادهما مزيداً من الاهتمام المعنوي، مع متابعة سلوكياتهم وتقويمها، ومتابعة أحوالهم خارج المنزل مع أصدقائهم، والحرص على الصحبة الصالحة، ولا بدَّ كذلك من متابعة أنشطة الأولاد عبر وسائل التواصل الحديثة، وقد تواجه الأسرة مشكلة رفض الأولاد مثل هذا الأمر، وعدُّه نوعاً من الوصاية على حياتهم واستقلاليتهم، لكن كلما كانت العلاقة بين الوالدين والأولاد صحية وإيجابية أمكن التغلب وإقناع الأولاد بأهمية دور الوالدين، وأن القصد هو التعاون معهم لتحقيق هدفٍ سامٍ هو السعادة في الدنيا والآخرة.

وعندما تكتشف الأسرة أن أحد أبنائها قد دخل في الإلحاد غالبا ما تحدث لدى الأسرة حالة من الفزع وتتوجه نحو الوعظ والإرشاد، وتستدعي بعض العلماء لإقناع الإبن بالعدول عن إلحاده، ولكن هذه المحاولات غالبا ماتفشل، فتتجه الأسرة للحل العقابي وربما تمارس النبذ والطرد والتبرؤ من الإبن، وهذا قد يزيده عناداً وإصراراً ويدفعه بعيداً عن حضن الأسرة لتتلقفه روابط وجماعات الملحدين المحلية والدولية، وتشحنه بالكراهية والضغينة تجاه أسرته وتجاه مجتمعه الذي لم يحترم حريته. والبديل أن تتحلى الأسرة بالصبر وأن تحتوي هذا الإبن أو البنت رغم تمردهم العقائدي وإعطائهم الفرصة لمزيد من المعرفة والتيقن، وتحاول أن تستبقي حبال الود والتراحم بينهما عسى أن

يجدي نفعا للعدول أو الرجوع عمَّا تبنوه من عقيدة ضالة [1]، وذلك من خلال الطرق التالية:

١ - تعليم الأبناء الحقائق والمخاطر الناجمة عن الإلحاد من القلق والخوف والكآبة والأنانية والإجرام، وإعانة الأبناء على اكتساب المهارات التي ترفع من قدراتهم المعرفية فتساعدهم على الثقة في أنفسهم والسعي لبناء شخصية قوية.

٢ - يجب على الأسرة أن تحرص على إحاطة الأبناء بجو من الدفء الأسري والعمل على جذبهم تجاه الأسرة والأبوين وتنمية المشاعر الإيجابية بينهم وبين الأبناء.

٣ - تجنب ظهور الخلافات امام الأبناء فهذا أمر شديد الخطورة عليهم ويترتب عليه إحساسهم بعدم الأمان وبالاضطراب والقلق والإحباط وهي من أهم العوامل التي تدفع الشخص إلى الانحراف سواء الفكري أو الأخلاقي.

٤ - تهيئة العلاج النفسي فيما إذا كان إلحاد أولادهم بسبب عوامل نفسية فبأمكان الأسرة وبالتعاون مع الجهات المتخصصة تهيئة العلاج لأبناءها، حيث يعتبر العلاج النفسي ضروري وذلك من خلال إقامة جلسات فردية وجماعية للأفراد والمجموعات من الملحدين ويديرها أطباء نفسيين أو متخصصين في علم النفس أو التربية لتغطية الجوانب النفسية والتربوية، ومن المهم التفريق بين أنماط ومستويات الإلحاد المختلفة وأن تدرس كل حالة على حدة، وأن تُراعى الدوافع الكامنة وراء إلحاد كل شخص□ منهم، كما أن

---

١ - انظر (محمد المهدي، الشباب لماذا يلحدون وكيف يعودون، http://www.elazayem.com).

هناك قواعد عامة في التعامل مع هؤلاء الملحدين النفسية أو الاجتماعية تكون أهم من محاولات إقناعه بأدلة دينية وبحجج وبراهين عقلية أو نقلية، وإعطاءهم الفرصة لإعادة التفكير والتيقن، وعدم فرض الأفكار عليهم لأن المهم هو القناعة وليس الإذعان أو التظاهر بإيمان زائف[1].

٢ – المسجد

يُعتَبَر المسجد مركزاً تربوياً أساسياً في تربية الناس على الفضيلة وحب العلم، فالمسجد ليس مكان تُقام فيه الصلاة فقط لكنه أيضاً مكان للعبادة والعلم والتربية والدعوة إلى الله تعالى والتوجيه والإرشاد إلى الخير، وهو المدرسة الأولى التي تُعنى بالإنسان المسلم سُلوكا□ وعقيدة□ وروحا□، وبناءا□ للشخصية المسلمة بناء□ متكاملا في إطار مجتمع إسلامي من خلال رسالتِه الدينية والتعليمية، لذا يجب على المجتمع أن يُفَعِّل دور المسجد لأنه أعظم المؤثرات التربوية التي تُقَوِّم السلوك والأخلاق الحميدة لدى الفرد، وتُثبت العقيدة الإسلامية بعيداً عن الأهواء المنحرفة والأفكار المشككة الهدَّامة. ويمكن تشبيه المسجد بجهاز إنذار مبكِّر ينذر المجتمع بشرور وأخطار تهدد الأمن الفكري والعقائدي. فالكثير من الخطباء والأئمة بحكم ارتباطهم القوي بحياة المجتمع يستطيعون الكشف مبكراً عن أي انحراف عقدي أو فكري.ويمكن أن يكون علاج المسجد للإلحاد بالطرق التالية:

١ – أن يكون هناك دور واضح وفعال للمسجد من خلال تواصل أئمة

---

١ – نفس المصدر السابق.

المساجد مع الشباب للرد على الأسئلة المحيرة الخاصة بوجود الله، وأن يكون هناك أجوبة كاملة وشافية لكل شبهة أو تشكيك.

٢ - أن يكون هناك مشروع ديني وثقافي وفكرى متكامل للديانات والتأكيد على وجود الله وغرس القيم والتعاليم الدينية من أجل خلق حالة من الاستنارة الفكرية للأفراد.

٣ - لا بدَّ من تعديل وتطوير الخطاب الديني ليتناسب مع الأحداث الجارية والأوضاع الحالية، مطالباً بضرورة التعامل مع ظاهرة الإلحاد على أنها ظاهرة مَرَضية يجب معالجتها معالجة جذرية بطرقٍ علمية حديثة وليست الطرق التقليدية.

٣ - المؤسسات التعليميةالرسمية

إنَّ الدور الرئيسي للمؤسسات التعليمية كالمدارس والجامعات، هو بث العلوم النافعة، وأن تهتم وزارات التربية والتعليم، والتعليم العالي في كافة البلدان الإسلامية بتربية العقيدة الإسلامية الصحيحة وتنمية الإيمان وتعزيزه في نفوس المتعلمين، وتأهيل المعلمين تأهيلاً تربوياً إيمانياً، وأن تتناول المناهج التطوارات الفكرية الحاصلة في المجتمع، وترسيخ الأسس الفكرية والعقدية حيث يقع على عاتقها المحافظة على أبنائها الطلاب من الانزلاق في متاهات الأفكار المنحرفة دينيا وأخلاقياً، وذلك بالتحذير منها وبيان فسادها وسوء عاقبتها وبث الأفكار النافعة من خلال المناهج والمقررات الدراسية التي تُدّرَس في هذه المؤسسات والخروج من الحالة النمطية في التعليم والتي قد يرى كثيرا من الطلاب أنها جامدة ومنفرة، ولا بدَّ من إخراج الكتب والمناهج بأسلوب □

وقالب □ مما يجعل له تأثيراً في القلوب، وغرس للعقيدة الصحيحة في النفوس لاسيما الأصول، وإبراز قدرة الله وعظمته في الكون ومافيه من دقة وتناسق، وذلك من خلال أي وسيلة ممكنة كالدروس والخطب والمحاضرات والبرامج والتي تساعد في تفكيك الفكر الإلحادي، وأن تتناول أيضاً المواضيع المهمة الأخرى كالإيمان بالغيب والإيمان بالقدر واعتقاد الحكمة في أفعال الله تعالى، وأن يكون الاعتناء بالمواد الشرعية في المناهج التعليمية بحيث تكون لها الصدارة كالمواد العلمية التجريبية تماماً.

كما أن دعوة طلاب الدراسات العليا إلى مواجهة هذا الفكر الهدَّام من خلال أطروحات علمية دقيقة سيكون له دور كبير في الوعي الفكري[1]، كما أن هذه المؤسسات يقع على عاتقها الأمور التالية:

أ – استثمار أوقات الفراغ واستغلال طاقات الشباب

إنَّ ظاهرة الإلحاد انتشرت بسبب الفراغ الروحى والاجتماعى للشباب والبطالة وغيرها من المشاكل التى يعانى منها الشباب.

وأن الفراغ الذي يعاني منه كثير من الناس لاسيما الشباب باعتباره يمتلك طاقة نفسية وفكرية وجسدية عالية تعتبر مشكلة كبيرة، خصوصاً أذا لم يتم احتواء هذه الطاقة وتوجيهها التوجيه النافع فلا يؤمن على صاحبها أن يوجهها فيما يضر، وإنَّ إهدار كل هذه الطاقات وترك الشباب فريسة للفراغ والبطالة خطأ فادح، فقد يكون الفراغ سبباً لكثير من المعاصي التي يرتكبها

---

١ – انظر (د.صالح عبد العزيزالسندي، الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته، ص٦٦ – ٦٩).

البعض منهم، وإن الانحراف الخُلقي والفكري الذي نراه عند شبابنا إنما يرجع إلى هذا الفراغ مع توافر المال المعين على تحصيل وسائل الانحراف بشِقيه الخلقي بالشهوات، والفكري بالشبهات، لذلك نجد أن هناك ضرورة لاستغلال طاقات الشباب عن طريق إقامة مراكز للأنشطة المختلفة بحيث يقوم الشباب بممارسة الرياضة بأنواعها وينمِّي قدراته ومواهبه النافعة والمفيدة عبر دورات في التنمية البشرية وتطوير الذات[1]، وبرامج تدريبية، فإن هذا التفريغ المثمر للطاقات كفيل بصرف الشباب عما يضر ولاينفع من مجالس الترف الفكري أو التقليد لأفكار غربية وغريبة، كما يجب فتح مجالات الحوار مع الشباب على اختلاف مستوياتهم العلمية والمهنية، واستقطاب خيرة العقول والكفاءات في شتى المجالات والكفيلة بإقناع النشأ وهدايتهم إلى طريق الصواب، وعقد ندوات بمراكز الشباب وثقيف الشباب واطلاعهم على المفهوم الصحيح للدين، وتحصينهم من كل الأفكار الباطلة الوافدة وحماية العقول من الغزو الفكري ومراعاة أن يتم ذلك بصورة عصرية ملفتة وجذَّابة

---

١ – التنمية البشرية وتطوير الذات: – هي عمليه تنميه وتطوير إمكانيات ومقدرات الإنسان بهدف توسيع الخيارات المتاحة أمامه باعتباره أداة وغاية التنمية، فهي عملية شاملة متكاملة يتوقف نجاحها على ما يقوم به البشر من جهد متعدد الجوانب والأشكال والهادفة إلى إحداث تحولات هيكلية اقتصادية واجتماعية يتحقق بموجبها للأغلبية الساحقة من أفراد المجتمع مستوى من الحياة الكريمة التي تقل في ظلها وتزول بالتدريج مشكلات البطالة والفقر والجهل والمرض، ويتوفر للمواطن قدر أكبر من فرص المشاركة وحق المساهمة في توجيه مسار وطنه ومستقبله. فهي عملية واعية وموجهة تقوم بها قطاعات شعبية واعية خاصة وعامة بهدف إيجاد تغيير شامل يسمو بالمجتمع إلى مصاف الأمم الراقية والمتحضرة. راجع (د.عبد العزيز السنبل، دور المنظمات العربية في التنمية البشرية، ص٥).

وأن تخرج عن النمطية والأساليب القديمة.

كذلك تدريب مجموعات من الشباب على فهم الظاهرة ومهارات التعامل مع الشباب الملحدين لأنهم يكونون أقرب إليهم وأقدر على تقديم المساعدة بالإضافة إلى الاهتمام بالتواصل الإلكتروني على الإنترنت حيث يتركز نشاط شباب الملحدين عليه نظراً لتخوفهم من الظهور، وذلك يستدعى عمل مواقع للمساعدة والرد على التساؤلات الباحثة عن اليقين وعلى الشبهات.

ولايمنع الإسلام من الانفتاح على شعوب العالم إذا كانت المؤسسات التربوية تقوم بدورها في بناء حصون السلام في عقول الشباب والأفراد المسلمين من خلال إرساء الأسس الفكرية والأخلاقية وقيم التعايش السلمي والتفاهم والتواصل والحوار بينهم، وتعميم ثقافة السلام وحل المشكلات بعيداً عن استخدام العنف والقوة مع تجسيد قيم التسامح والتعاون والصداقة والشراكة بين شباب العالم ومنظماته والابتعاد عن السلوك العدواني وعن المخدرات التي تغيِّب عقولهم وتقتل وعيهم وتوهن قواهم، وأن لايتحول الشباب إلى أداة طيعة استهلاكية تحقق مأرب أعداء الإسلام ممن غاياتهم إبعاد الشباب المسلم عن الدور الحقيقي لبناء المجتمع.[١]

ب – رعاية الشباب المبتعثين إلى البلدان الغير إسلامية

يجب أن يولى هذا الموضوع اهتماماً أيضاً من قبل المؤسسات والأفراد وذلك

---

١ – انظر (د.خيام محمد الزعبي، واقع الشباب العربي بين التطلعات والتحديات، ص١ – ٣)، وانظر (عبد العزيز سعدالمحمدي، الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة منها، ص١٧٥ – ١٧٦).

بضرورة وضع البرامج التي تهدف إلى تحصين الشباب قبل وبعد ذهابهم إلى الدول الغربية أو المجتمعات الغير إسلامية، وعلى الجهات الرسمية المعنية بالدعوة والإرشاد والملحقيات الثقافية واجب في توعية الشباب وتحذيرهم من أمواج الشك والأفكار الهدَّامة التي سوف تحيطهم في بلدان الابتعاث، وعلى دعاة الدين أن لايهملوا هؤلاء الشباب المبتعثين ولايغيبوا عن ساحة النصح لهم، وذلك بالتواصل معهم عبر المواقع الإلكترونية وإن أمكن زيارة أماكنهم، بالإضافة إلى تزويدهم بالكتيِّبات والأقراص التي تعالج هذا الجانب المهم.

٤ – المؤسسات الأعلامية

يمثل الإعلام ووسائله فضاءاً ضخما فهو يشكل فكر الملايين من البشر وله تأثير في أفكارهم وعقائدهم وآرائهم ومن ثم في أفعالهم وتصرفاتهم، وأكثر الناس تأثرا به هم الأطفال والشباب فهو سلاح ذو تأثير قوي وبعيد المدى وبالوقت نفسه لايمكن الاستغناء عنه، فيجب إعداد برامج تحارب مايبثه الإعلام المعادي والفضائيات ذات الاتجاهات الفكرية المنحرفة من أفكار التشكيك في الدين والعقيدة، والزجر عن الفواحش والكبائر والحث على الفرائض والفضائل بما يحقق العبودية لله وبما يناسب الشريعة الإسلامية وبث العقيدة الصحيحة والمنهج القويم، ولا بدَّ من الرقابة على وسائل الإعلام التي تبث سموم أفكارها في المجتمعات الإسلامية والتضيق عليها ومحاربتها وتنظيم حملات مدورسة لتوعية الجمهور بخطورة هذه الوسائل وخطورة ماتبثه من أفكار دخيلة على دين المرء.

كما يجب عمل مواقع على الإنترنت للرد على الشبهات والشكوك

والتساؤلات التي تبث فيما يخص الدين والعقيدة، وعمل توعية وقائية في الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون للناس الذين لم يقعوا بعد في دائرة الإلحاد.[1]

٥ – المرجعية الدينية

ويتأكّد دور العلماء في زمن غيبة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ففي الرواية عن الإمام الهادي(عليه السلام) أنه قال: «**لو لا من بقي بعد غيبة قائمنا**(عليه السلام) **من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتدّ عن دين الله**»[2].

فالأخذ عنهم والاستضاءة بعلومهم هو السبيل للنجاة من توهان الانحرافات الفكرية، ولا بدَّ من تفعيل دور العلماء والدعاة للرد على الشبهات من خلال إقامة الندوات الدينية والثقافية والفكرية التي تصقل أفكار الناس وتهذبها وتنميتها بكل مفيد مع مراعاة الحداثة في الطرح والوسائل والرد على الشبهات المثارة حول العقيدة، فهو واجب العلماء وطلبة العلم، وأن ظهور تيار الإلحاد المتنامي يستدعي من المشايخ وطلبة العلوم الدينية محاربة هذه

---

١ – انظر (أحمد خالد الطحان، العتاد في مواجهة الإلحاد، ص٩٦ – ٩٨)، وانظر (هيثم بن محمدالكناني، الإلحادحقيقته وأسباب ظهوره ووطرق معالجته، http://sunnahway.net/).

٢ – أحمد بن علي الطبرسي، ألاحتجاج، ج١، ص٩.

التيارات بالحجة والبيان وإرشاد الناس إلى طريق الهداية والحق، كما أن إيجاد جيل من طلبة العلم المطلع على كثير من النظريات العلمية الحديثة في الفلك والفيزياء والكيمياء الحديثة وغيرها من العلوم التي يتخذها الملحدون للتشكيك في وجود خالق الكون له ضرورة لمواكبة التطور في النظريات الكفرية والإلحادية، فمثلا نظرية دارون قد مرت بأطوار متعددة وأربابها يقومون بتعديلها وتنقيحها مع الزمن وفق مايستجد من علوم حديثة، وهذا يستوجب المواكبة من طلبة العلم والدين بما يدحض نظرياتهم[١].

إذن إن للتربية الروحية والأخلاقية دور فعَّال ومهم في علاج الإلحاد وتقويم السلوكيات الإنسانية لدى الأفراد والناشئة، وذلك من خلال إيجاد علاقة بين الأفراد والمؤسسات سواء الدينية منها أم الاجتماعية، فالمسؤلية تقع على المجتمع والمدرسة والأسرة والمسجد في فهم واستيعاب التحولات الفكرية لدى الأفراد، مع تفعيل دور العلماء وطلبة العلوم الدينية لنشر الوعي الإسلامي لمواجهة التحديات التي تستهدف فكر الأفراد المسلمين لاسيما الشباب منهم، الأمر الذي يتطلب مزيداً من العمل والمواجهة للتصدي لهذا التحدي من خلال إيجاد خطط فعَّالة ومدروسة والعمل على استيعاب فكر وسلوك الأفراد وتوعيتهم وإشراكهم في مسؤلية المواجهة ومخاطبتهم بلغتهم ومن منابرهم وعدم إغفال دور القدوات والمؤثرين في المجتمع، والمواجهة والتصدي لهذا التحدي وتحصينهم ضد الاختراقات التي تهدد دينهم وعقيدتهم.

---

١ – انظر (مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، ص١٢٢ – ١٣٠).

ABSTRACT

In the name of Allah the most beneficent the most merciful ،and prayers and peace be upon the Messenger of Allah Mouhammad and his progeny:

The phenomenon of atheism is a complex phenomenon in which the intellectual ،psychological and social causes may be factors ،and we have included in our research entitled «the spread of atheism in Islamic societies and treatment methods in the light of Quran and Sunnah» the main reasons that led to atheism in the Muslim communities ،the solutions and roads which helps in the treatment of this phenomenon and how to salvage the Muslims and prevention of ideological deviation leading to destruction of faith.

Our research consists of an introduction ،three chapters and a conclusion ،where we begin to introduce the main issues and scientific definitions of words key to the research. Then we address the Quran and extract verses ،which include the word atheism ،with its interpretation and indications to different meanings of atheism that the Quran presents. And we go through the sayings of the Ahl ul − Bayt and their prayers that have not abandoned this concept and seek refuge from them ،as well as the history for this deviant thought ،namely atheism. The second chapter includes a list of the main reasons which had a role in causing atheism in Muslim societies ،while revealing the doctrines of atheism from Freemasonry ،secularism to communism ،as well as globalization and introduction of modern technology and different psychological and social factors. In the third chapter we go through the methods of

prevention ،treatment of the phenomenon of atheism and strategies to combat it ،and to provide solutions and the Islamic response to suspicions of atheists. We have provided evidence and mental proofs of the existence of God ،in addition to a number of grievances raised by atheists and responding to them with scientific theories and recent studies ،and a host of other treatments that belong to the psychological and social causes of atheism.

And we have adopted a descriptive and analytical approach to research with importance to diverse aspects of the dimensions of the phenomenon of atheism in the present era in order to reach solutions to reduce this phenomenon.

The most important results of this study are:

*The old atheism trend emerged in Greece and in the era of the Greeks and the Romans in 420 BC ،for they have established atheistic skepticism.

*The newer ideologies of atheism does not represent a single thought but are describing multiple and varying terms of patterns.

*Spread of ideas of atheism to the Muslim world ،started from the Crusades and was followed by Orientalism and Christianization ،and was followed again by military presence ،namely colonialism ،then ideological brainwashing.

*Brainwashing is much more dangerous than a military invasion because it is a profound influence on people where its influence extends to tens or even hundreds of years as well as it being less expensive than a military invasion.

*The Jews have supported atheistic philosophies ،and sponsored the scientists for the adoption of atheistic ideas that offend religions.

*That the means of communication and international media and the Internet took a lot of risks ،which began threatening the culture of the community and its security and faith caused through this network of subversive ideas and the promotion of moral and ideological deviation.

* The religious extremism in the speech of violent terrorists and practices and militancy by Islamic groups that does not allow freedom of thought is one of the most important reasons for the spread of atheism in some Arab countries.

* One of the other causes of atheism is the desire to get rid of the restrictions imposed by religions on people. Especially people who hate any restrictions ،whatever their origin and whatever the degree and are interested in starting their lives under the direction their minds and their choices of personal ،excessive individual freedom to the point of arrogance ،and a desire of freedom from the costs of religious and social constraints.

* Arming oneself with science and knowledge gives strength and immunity to any intellectual or ideological deviations.

* Recognition methods and evidence to prove the existence of God helps get rid of atheism.

* Addressing atheistic ideas and breaking down scientific theories ، shows a fake side to atheists who cling to science to deny the Creator.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ – ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، لبنان، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢ – أ.د.شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٣ – ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، لبنان، دار صادر، ط١، ١٣٠٠هـ..

٤ – آل سيف، فوزي، تأملات في آيات الظهور، لبنان، دار المحجة البيضاء، ١٤٢٦هـ..

٥ – إدريس، د.جعفر، الفيزياء وجود الخالق، الرياض، مكتبة فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٦ – أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٧ – أميني، محمد صفوت السقار، وآخرون، الماسونية، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٨ – أتلخان، جواد رفعت، أسرار الماسونية، ترجمة عن التركية، وعلق عليه سليمان محمد أمين، الحقوق محفوظة للمؤلف.

٩ – أ.أورام العيد، البعد الثقافي للعولمة وأثره على الهوية الثقافية للشباب، مجلة جيل العلوم الإنسانية، العدد٢، ٢٠١٤م.

١٠ – الأستاذ رضوان زقار، الاضطراب الضلالي«البرانويا»، وحدة علم

النفس المرضي، محاضرة٧.

١١ - الآمري التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم، لبنان، مؤسسة الأعلمي، ط١، ٢٠٠٢م.

١٢ - البدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، بيروت، دار العلم، ط٣، ١٩٩٣م.

١٣ - بودستنيك فاسيلي، ترجمة طرابيشي جورج، ألف باء المادية الجدلية، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٧٩م.

١٤ - البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٤، ١٩٦٤م.

١٥ - تشارلس داروين، ترجمة مجدي محمود المليجي، أصل الأنواع، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٦ - الجهني، د.مانع بن حمادة، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الرياض، دار الندوة، ط٤، ١٤١٨هـ..

١٧ - جان فال، الفلسفة الفرنسية، ترجمة فؤاد كامل، القاهرة، دار الثقافة.

١٨ - الجزائري، نعمة الله، نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية، قم، ط١، ١٤٢٧هـ.

١٩ - جريشة، محمد علي، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، القاهرة، دار الاعتصام، ط٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٠ - الجندي، أنور، مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٨٣م.

٢١ – جميل عبد السيد فرح، هيكل سليمان الثالث، القاهرة، المطبعة المصرية، ٢٠٠٣م.
٢٢ – الجعفي، المفضل بن عمر، توحيد المفضل، علق عليه كاظم المظفر، قم، ط٣، مكتبة الداوري، ١٩٦٩م.
٢٣ – الحمد، محمد إبراهيم، الشيوعية، الرياض، دار خزيمة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٤ – الحوالي، د.سفر عبد الرحمن، العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الهجرة.
٢٥ – الحسيني، محمد، شرح الصحيفة السجادية، لبنان، دار العلوم، ط٥، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٦ – الحليبي، خليل، حقيقة الاضطرابات النفسية، مركز التنمية الأسرية، الإحساء.
٢٧ – الحسون، علاء، التوحيد عند مذهب أهل البيت، شبكة الإمامين الحسنين للتراث والفكر الإسلامي الإلكتروني للنشر، تصنيف مكتبة الرسول الأعظم.
٢٨ – الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، علَّق عليه الشيخ حسين الأعلمي، لبنان، مؤسسة الأعلمي، ط٧، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٩ – الحر العاملي، محمد بن الحسين، وسائل الشيعة، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ..

٣٠ – الخضر، محمد حسين، الإلحاد، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٣١ – د.عمرو شريف، وهم الإلحاد، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.
٣٢ – الدوري، د.سيف صفاء عبد الكريم، مقال العولمة والإسلام، موقع الألوكة الثقافية، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
٣٣ – الدحلان، أحمد زيني، أمراء البلد الحرام، تركيا، وقف الإخلاص، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٣٤ – د.جلال الدين محمد صالح، الإرهاب الفكري أشكاله وممارساته، الرياض، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٣٥ – د. هيثم طلعت، الرد على الملحدين العرب، مصر – الإسماعيلية، دار الكاتب، ط١، ٢٠١٤م.
٣٦ – د. حسام الدين حامد، خطة معرفية للعمل في ملف الإلحاد، مجلة حراس الشريعة، العدد الرابع، ٢٠١٥م.
٣٧ – دستغيب، السيد عبد الحسين، التفكر، لبنان، دار البلاغة، ط١، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
٣٨ – د.غريب عبد الفتاح، الاضطرابات الاكتئابية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد٥٦، المجلد السابع عشر، ٢٠٠٧م.
٣٩ – د.عمرو شريف، خرافة الإلحاد، القاهرة، الشروق، ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

٤٠ - د.عمرو شريف، رحلة عقل، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٤١ - د.حسيبة، مصطفى، المعجم الفلسفي، الأردن، دار أسامة، ط١، ٢٠٠٩م.

٤٢ - د.هشام عزمي، الإلحاد للمبتدئين، مصر، دار الكاتب، ط٢، ٢٠١٥م.

٤٣ - الراوندي، سعيد هبة الله قطب الدين، الدعوات«سلوة الحزين»، قم، منشورات دليل ما، ط١، ١٤٢٧هـ.

٤٤ - الري شهري، محمد عبده، بمساعدة رضا برنجكار، موسوعة العقائد الإسلامية، دار الحديث، ط١، ١٤٢٥هـ.

٤٥ - الرازي، محمد بن أبي بكر، معجم مختار الصحاح، لبنان، دائرة المعاجم، ١٩٨٦م.

٤٦ - الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، لبنان، الدر الشامية، ط٤، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٧ - الرقب، صالح حسين سليمان، العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها، غزة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

٤٨ - الرفاعي، أحمد عبد الله، التنصير يغزو العالم الإسلامي، مجلة البيان، العدد ١٥٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٩ - الزغبي، محمد علي، الماسونية في العراء، لبنان، معتوق إخوان، ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م.

٥٠ – الزين، د.عمارة، مدخل إلى الطب النفسي، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، سلسلة الكتاب الإلكتروني، عدد٥، ٢٠٠٦م.

٥١ – الزغبي، د.محمد مصلح، العولمة الثقافية وأثرها على الوطن العربي، موقع شذرات الإلكتروني. www.shatharat.net

٥٢ – الزوي، عائشة علي مسعود، الإنترنت يهدد حياتنا، كتب الإنترنت، ٢٠١٦.

٥٣ – الزهاوي، جميل صدقي، الفجر الصادق في الرد على الفرقة الوهابية المارقة، مصر، دار الصديق الأكبر، مطبعة واعظ، ١٣٢٣هـ.

٥٤ – السرجاني، د. راغب، قصة الحروب الصليبية، القاهرة، مؤسسة إقرأ، ط٢، ٢٠٠٩م.

٥٥ – السقار، منقذ بن محمود، الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، مكة المكرمة، صيد الفوائد، ١٤٢٧هـ.

٥٦ – السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٥٧ – السنبل، عبد العزيز بن عبد الله، دور المنظمات العربية في التنمية المستدامة، أكاديمية نايف العربية الأمنية، ١٤٢٢هـ –ـ ٢٠٠١م.

٥٨ – سعد الدين صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، القاهرة، عين شمس، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٥٩ – السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، الأردن، دار الوراق.

٦٠ – السجاد، علي بن الحسين، الصحيفة السجادية، العراق، الأمانة

العامة للعتبة الكاظمية، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٦١ - السبزواري، محمد، جامع الأخبار، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٦٢ - السبحاني، جعفر، الإلهيات على هدى الكتاب والسنَّة والعقل، قم، مؤسسة الإمام الصادق، ط٧، ١٤٣٠هـ.

٦٣ - السندي، صالح عبد العزيز، الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته، لبنان، دار اللؤلؤة، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٦٤ - الشهرستاني، محمد عبد الكريم، الملل والنحل، لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦٥ - الشرقاوي، محمد عبد الله، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، القاهرة، دار الهداية، ١٩٨٩م.

٦٦ - الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات الولاية لشرح نهج البلاغة، قم، مدرسة الإمام علي، ٢٠٠٥م.

٦٧ - الشريف، محمد شاكر، العلمانية وثمارها الخبيثة، الرياض، دار الوطن للنشر، ط١، ١٤١١هـ.

٦٨ - الشعراوي، محمد متولي، الأدلة المادية على وجود الله.

٦٩ - الشهيد مطهري، مرتضى، التوحيد، ترجمة إبراهيم الخزرجي، لبنان، دار المحجة البيضاء، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٧٠ - الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق محمد عبدة، قم، دار الذخائر، ط١، ١٤١٢هـ.

٧١ – الشهيد مطهري، مرتضى، الفطرة، بيروت، مؤسسة البعثة، ط١، ١٩٩٠م.

٧٢ – الصدوق، محمد بن علي، أمالي الصدوق، لبنان، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٧٣ – ـ الصدوق، محمد علي، الاعتقادات، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٤ – الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين، لبنان، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٧٥ – الصدوق، محمد بن علي بابويه القمي، عيون أخبار الرضا، قم، انتشارات الشريف الرضي، ط١، ١٣٧٨هـ

٧٦ – الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، التوحيد، لبنان، دار المعرفة.

٧٧ – صائب عبد الحميد، الوهابية في صورتها الحقيقية، بيروت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٧٨ – صابر طعيمة، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٧٩ – صلاح ياسين محمد، التأثيرات السلبية والإيجابية للعولمة، مجلة أبحاث كلية التربية، مجلد١١، العدد١، ٢٠١١م.

٨٠ – الصدر، السيد مهدي، أخلاق أهل البيت، شبكة الإمامين الحسنين الإلكتروني للتراث والفكر، ٢٠١٤م.

٨١ – الطباع، هبة، حلف الناتو، موقع موضوع الإلكتروني، ٢٠١٦م www.mawdoo.com

٨٢ – الطحان، أحمد خالد، العتاد في مواجهة الإلحاد، شبكة الألوكة، مكة المكرمة.

٨٣ – الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

٨٤ – الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، قم، شبكة الفكر، ط١، ١٣٨٠هـ.

٨٥ – الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، بيروت، دار المرتضى، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٨٦ – الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، لبنان، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٨٧ – الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، منشورات الشريف الرضي، إيران، شبكة الفكر، ط١، ١٣٨٠هـ.

٨٨ – الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٨٩ – عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٣م.

٩٠ – العواجي، د.غالب بن علي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات، الرياض، المكتبة العثرية الذهبية، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٩١ – العقاد، عباس محمود، وآخرون، الشيوعية والإسلام، لبنان، دار

الأندلس، ط٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٩٢ - عاطف أحمد عمران، مذكرات هنري كيسنجر، عمَّان، الأهلية للنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

٩٣ - العوهلي، البراء، لماذا يلحد بعض شبابنا، محاولة لفهم ومقاربة ظاهرة الإلحاد، موقع المقال الإلكتروني، ٢٠١٢م. www.almqaal.com

٩٤ - العاملي الشامي، زين الدين بن علي، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، إيران، سلسلة مؤلفات الشهيد الثاني، تحقيق رضا المختاري، مركز تحقيقات العلوم الإسلامية.

٩٥ - العاملي، محمد جميل حمود، الفوائد البهية، في شرح العقائد الإمامية، لبنان، مؤسسة الأعلمي، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٩٦ - علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، الرياض، إدارة الثقافة والنشر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٩٧ - عبد الرحمن مرحب، إينشتاين والنظرية النسبية، بيروت، دار القلم، ط٨، ١٩٨١م.

٩٨ - العطار، أحمد عبد الغفور، الشيوعية وليدة الصهيونية، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٣م.

٩٩ - الغامدي، أحمد بن سعود، الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

١٠٠ - الغزالي، محمد، الاستعمار أحقاد وأطماع، القاهرة، نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٥م.

١٠١ – الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٠٢ – الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
١٠٣ – الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
١٠٤ – فاطمي نجاد، انعكاسات آراء إبن تيمية في جرائم التيارات التكفيرية، قم، الدراسات القرآنية والحديثية، ط١، ٢٠١٥م.
١٠٥ – فردريك إنجلز، ترجمة أحمد عز العرب، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ١٩٥٧م.
١٠٦ – قاسم عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٠م.
١٠٧ – القفاري، ناصر عبد الله وآخرون، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، دار الصميعي، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٠٨ – القمص، حلمي يعقوب، رحلة إلى قلب الإلحاد، الإسكندرية، خاتم الشهداء.
١٠٩ – الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، لبنان، دار المرتضى، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١١٠ – الكعبي، عباس موسى، الكاتب الغامض سام هاريس، مجلة الحوار المتمدن، العدد ٣٦٢٢ – ٢٠١٢م.

١١١ – الكاشاني، محمد محسن الفيض، الوافي، أصفهان، مكتبة الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام)، ط١، ١٣١٢هـ..

١١٢ – المازندراني، صالح، شرح أصول الكافي، لبنان، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط٢ ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

١١٣ – المدرسي، هادي، تهافت النظرية الداروينية، لبنان، دار العلوم، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

١١٤ – المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م.

١١٥ – الموسوي الخميني، روح الله أحمد، التوحيد والفطرة، إعداد مركز الإمام الخميني الثقافي.

١١٦ – مدكور، إبراهيم، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١١٧ – الموسوي الجابري، السيد فاضل، النزعة الدينية بين الإلهيين والماديين، مركز الرسالة، سلسلة المعارف الإسلامية.

١١٨ – مركز نون للتأليف والترجمة، دروس في أصول العقيدة الإسلامية، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، لبنان، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

١١٩ – المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد إبراهيم، العراق، دار الكتاب العربي، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

١٢٠ – المصباح اليزدي، محمد تقي، دروس في العقيدة الإسلامية، لبنان، دار الرسول الأكرم، ط٨، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

١٢١ – مقالة د.محمد المهدي، الشباب لماذا يلحدون، رئيس قسم الطب النفسي، موقع العزائم، www.elazayem.com

١٢٢ – الميداني، عبد الرحمن حسن، كواشف زيوف، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

١٢٣ – المحمدي، عبد العزيز، الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة منه، ماليزيا، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

١٢٤ – مصطفى محمد، حوار مع صديقي الملحد، دار العودة، ١٩٨٦م.

١٢٥ – المنصوري، سامي، المسيحية ومجمع نيقة، الحوار المتمدن، العدد ٤٣٣٨ – ٢٠١٤م.

١٢٦ – مقالة د.هشام عزمي، الإلحاد في العالم العربي www.baraheen.com

١٢٧ – النشار، علي سامي، ديمقريطيس فيلسوف الذرة، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩١هـ – ١٩٧٢م.

١٢٨ – النشواتي، محمد نبيل، الإسلام يتصدى للغرب الملحد، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

١٢٩ – نخبة من علماء أمريكان، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان، لبنان، دار القلم.

١٣٠ – نصار، حسين محمد، الموسوعة العربية الميسرة، بيروت، المكتبة العصرية، ط٣، ٢٠٠٩م.

١٣١ – الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٣٢ - الهادي، جعفر، الله خالق الكون، قم، مؤسسة الإمام الصادق، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٣٣ - وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، قم، دار البحوث العلمية، ط١، ١٩٧٠م.
١٣٤ - يوسف كرم، تأريخ الفلسفة الحديثة، مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢م.
١٣٥ - قميحة جابر، آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، مكة المكرمة، العدد١١٦، السنة العاشرة، لعام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
١٣٦ - يالجن، د.مقداد، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ظاهرة الإلحاد من الظواهر المعقدة التي قد تتداخل فيها العوامل الفكرية والنفسية والاجتماعية، ولقد تناولنا في كتابنا هذا ماهية الإلحاد ومضمونه ونشأته والأسباب الرئيسية التي أدت الى إنتشاره في المجتمعات الأسلامية، ثم تعرضنا الى الحلول والطرق التي تساعد في علاج هذه الظاهرة وكيفية أستنقاذ المسلمين منها والوقاية من الأنحرافات الفكرية المؤدية الى تحطيم العقيدة.

وأن أغلب الملحدين في المجتمعات الإسلامية ليس لديهم أسباب عقلانية للإلحاد وانما هي عبارة عن مؤثرات خارجية، تمثلت بشكل غزو فكري كما ذكرناها بالأضافة الى دوافع نفسية, كما إن غياب الدين الأسلامي عن ساحة المجتمعات الأسلامية بشكل لايوفر لأفراده المناعة أو الحصانة ضد الأفكار المخالفة بما فيها الإلحاد وأطروحاته تعتبر من الأسباب لهذا الفكر.


ISBN 978-614-456-864-3

